دكتور
محمود يوسف كريت

دراسات في المسيحية

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وليكون الكتاب المنزل عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنا عليه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فقد اصطفى الحق — تبارك وتعالى — من عباده أشخاصا صنعهم على عينه ، ومنحهم من صفات الكمال والفضل مالم يتوفر لغيرهم من بنى البشر، ثم كلفهم بحمل رسالاته ، وتبليغها إلى العباد فى صدق وأمانة ، بلا تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان .

والمسيح — عليه السلام — واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبلغ وحى الله إلى الناس ، ونزل عليه كتاب من عند الله — سبحانه — هو « الإنجيل » ، ومن المعهود أن الله — تعالى — لم يبعث أنبياءه بعقيدة فلسفية معقدة لاتتحملها أفهام الأمم التى بعثوا إليها ، وإنما أرسلهم بدعوة واضحة وضعت بحيث تلائم الأحكام السابقة لكل نبى .

والإنجيل واحد من هذه الكتب المنزلة من عند الله — سبحانه — لم يقدم إلا تعاليم سهلة ميسرة يستطيع أن يدركها كل فرد حيث يمكن حصرها فى ثلاثة أهداف رئيسية :

الأول : الدعوة إلى التمسك بناموس « توراة » موسى — عليه السلام — وتكميلها ، وإحياء ما أماته اليهود منها كما بينه المسيح — عليه السلام — فى قوله « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل »(1) .

---

(1) متى ٥ : ١٧

الثانى البشارة بأنه سيأتى بعده رسول من قبل الله — تعالى — .

الثالث : مجموعة من الحكم ، والأخلاق ، وآداب المعاملة ، والحث على اللطف والأناة ، والعفاف ، والصلاح ، والإيمان ... إلخ .

وقد فقد هذا الإنجيل بعد رفع المسيح — عليه السلام — إلى السماء مباشرة ولم يوقف له على أثر فأحدث ذلك فراغا كبيرا ، ولم يلبث أتباعه من بعده أن تاقت نفوسهم إلى إنجيل المسيح ، فوضعت كل طائفة إنجيلا وزعمت أنه إنجيل المسيح، حتى عجت المسيحية بأناجيل تجل عن الحصر ، وتمسكت كل فرقة بإنجيلها مكفرة كل من يدعو إلى غيره حتى كان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وظهرت هذه الأناجيل وما تحمل من مذاهب ونحل ومن ورائها أصحابها ، فصادر المجمع ، وحرم كل إنجيل عدا الأربعة المعتمدة وهى إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا .

ونظرا لضياع الإنجيل الحقيقى فقد ضاعت المسيحية ، ووضعت مكانها نحلة جديدة أخذت من النحل الوثنية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت سواء منها ما يتعلق بالإله، أو بالأعياد والمناسبات ، أو بالطقوس والشعائر .

فلما جاء الإسلام بين أن تعاليم عيسى — عليه السلام — الأساسية ليست شيئا آخر غير تعاليم الإسلام التى جاء بها محمد — ﷺ — لأن شرائع الأنبياء جميعا تنبع من مشكاة واحدة ومصدر واحد وهو وحى الله إليهم .

فإذا قام القرآن الكريم بإزالة الركام الذى جثم على ملة عيسى عليه السلام الحقيقية ، والذى أهيل عليها على يد أعداء ألداء للمسيحية فإنما يحاول بذلك أن يخرج النصارى من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الحق ، ومن الكفر إلى الإيمان والله الموفق والمستعان

دكتور / محمود يوسف كرمت

مدخـــل

معنى كلمة إنجيل عند المسيحيين :

المعروف المتداول لدى المسيحيين أن كلمة (إنجيل) معناها : أخبار طيبة وأنباء مفرحة . يقول ول ديورانت : إن كلمة إنجيل معناها أخبار طيبة وأخبار سارة [1] .

ويقول القس إبراهيم لوقا : إن كلمة الإنجيل كلمة يونانية معناها بشارة مفرحة ، أو خبر سار سمى بها المخلص — أى المسيح — بشارته الخلاصية لأنها الحقيقة المفرحة ، وأصبحت مرادفة تارة لتعليمه ، وتارة لسيرته .

وعن المخلص أخذها الرسل والإنجيليون ، ووردت مراراً فى الأربعة أناجيل وفى غيرها من كتب العهد الجديد .

ولم يلبث أن انتقل من معنى المضمون إلى معنى المتضمن ، أى من معنى البشرى والتعليم الخلاصى إلى الكتاب الحاوى لتلك البشرى وذلك التعليم .

وبذلك يتبين لنا أن المسيحيين عندما يطلقون كلمة (إنجيل) إنما يقصدون بها أن يعبروا إما عن ترجمة حياة السيد المسيح كما كتبها كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا بمفرده ، أو عما كتبه هؤلاء الأربعة كجملة واحدة ، أو عن كل أسفار العهد الجديد أى ما كتب بعد ميلاد المسيح .

---

(١) قصة الحضارة جـ ٣ م ٣ ص ٢٠٧

فالإنجيل فى نظرهم رسالة أعدها المسيح للعالم ووعظ بها وأنذر بفمه الطاهر ، فالمسيح علمها شفويا لتلاميذ مختارين ثم أرسلهم إلى جهات مختلفة ليبشروا بها هم أيضا ، فجميع ماكتبه البشيرون الأربعة رسالة واحدة هى الإنجيل الذى قدمه المسيح وبشر به ، وكل بشارة منها تؤدى رسالة خاصة مكملة للأخرى .

فالمسيح واحد لا أربعة ، والإنجيل واحد لا أربعة ، والإنجيل هو كل هذه البشائر المستقلة وما يتبعها من رسائل لزيادة الإيضاح والبيان[٢]

وهكذا فبعض كتاب المسيحية يعتبر أن الإنجيل يطلق ويراد به بشارة المسيح الخلاصية لأنها المفرحة . كما يطلق ويراد به كل سفر يتضمن أعمال المسيح وتعاليمه ، أو ترجمة حياته كما فى بشائر كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

وعندهم أن هذه الأربعة أناجيل هى المعتمدة دون سواها من الأناجيل كما يعتبرون هذه الأربعة أسفاراً تاريخية ، وإذا أضيف إليها سفر أعمال الرسل ، ورسائل بولس الأربعة عشر ، ورسالة يعقوب أخو الرب ، ثم رسالتان لبطرس الرسول ، ورسائل يوحنا الثلاث ، وأخيرا سفر يسمونه بالسفر النبوى هو رؤيا يوحنا اللاهوتى ، إذا أضيفت هذه الرسائل إلى الأناجيل الأربعة يطلقون على الجميع إسم « العهد الجديد » .

والمتأمل فى قول إبراهيم لوقا فى تعريفه للأناجيل يراه معتبراً الرسائل التى كتبت بعد الأناجيل الأربعة مكملة وشارحة للأناجيل حيث إنها لزيادة الإيضاح والبيان : مع أن الواقع يخالف رأيه فقد كتب

---

(١) المسيحية فى الإسلام ص ٤٢ ، ٤٣

بولس رسائله من غير أن يعتمد واحدا من الأناجيل الأربعة ، أو يشير أدنى إشارة إلى واحد منها .

بل إن بولس اعتبر أنه هو وحده الذى يعرف إنجيل المسيح ، وأن أى إنجيل آخر يعتبر إنجيلا غير إنجيل المسيح جاء ذلك فى رسالته إلى أهل غلاطية حيث يقول : « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر »[١] .

ولقد زعم القس إبراهيم لوقا أن إنجيل المسيح الحقيقى لم يوح إليه من السماء كما يعتقد المسلمون ، وإنما هو رسالة أعدها هو من عند نفسه ، وابتدعها من بنات أفكاره ، ولكن سرعان ما يتبدد ذلك الزعم إذا ماوجد أن المسيح نفسه قال : بان الإنجيل أوحى به إليه من عند الله ، وخاطبه به جبريل الأمين يقول المسيح — عليه السلام — « أنا أتكلم بما رأيت عند أبى »[٢] وقوله « والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى »[٣] .

بهذه الشواهد وغيرها يتبين أن المسيح تلقى الإنجيل من الله عن طريق الوحى ، وليس رسالة أعدها من عند نفسه كما يزعم القس إبراهيم لوقا.

وصاحب كتاب الإنجيل والصليب يقول فى معنى الإنجيل :

الإنجيل كلمة يونانية أصلها « إيفنغليون » وهى من (أبو) بمعنى (مرحى ، جيد ، حقيق) و(أنغليون) هى البشارة ، أو التبشير بالفعل فمعناها الأصلى التبشير بالسعادة الحقيقية [٤] .

---

(١) غلاطية ١ : ٦ (٢) يوحنا ٨ : ٣٨
(٣) يوحنا ١٤ : ٢٤
(٤) الإنجيل والصليب تأليف القس عبد الأحد داود ص ٢٤ ، ٢٦

ولكنى أقول : إن المسيح لم يتكلم اليونانية لأن لغته كانت الآرامية أى السريانية ، وفيها يستعمل (سبرته) مكان كلمة إنجيل — إيفنغليون وهذا الفعل مطابق لكلمة صبر — العربية — فالشريعة التى أسداها المسيح — عليه السلام — وأنعم بها على العالم كانت عبارة عن الأمل والصبر .

والنقطة الأساسية هنا أن كلمة إنجيل المستعملة فى الأناجيل الأربعة السريانية عندما تتعلق بالمسيح تكون بمعنى كلمة سبرته ، دائما تعطى معنى الطريقة المذهبية والفكرة المعنوية .

وأما إذا أضيفت إلى المبشرين الأربعة أصحاب الأناجيل فهناك تتبدل الحال تبدلا حسب أصلها السريانى (إيفنغليون) إلى التبشير بالسعادة الحقيقية .

فإنجيل المسيح يختلف معناه عن الأناجيل الأربعة وغيرها من أناجيل المبشرين .

وبهذا يظهر جليا أن الأناجيل الأربعة وغيرها من الأناجيل التى ستمر بنا فى طريق البحث والدراسة ليست هى أناجيل بمعنى انغليوس أوسبرته . لأن ذلك خاص بالمسيح — علية السلام حيث يختص به معناه وهو . الرسالة ، أو الطريقة المذهبية ، أو الفكرة المعنوية . وهؤلاء الكاتبون للإنجيل لم يكونوا رسـلا ، ولا مؤسسى المذهب الإنجيلى والفكرة المعنوية المسيحية ، وإنما هم جماعة تعظ وتبشر برسالة المسيح وفكرته المذهبية ، فلا يجوز أن تسمى كتبهم التى ألفوها إنجيل المسيح ، ولا تسمى إنجيلا بمعنى سبرته ، ولا إنغليون وهو البشارة. وإنما هو شذاذ من كلمات المسيح تبديلا بالمعنى ، أوعين اللفظ ، وبكثير من الخليط ، فهى لأن تسمى أحاديث إنجيلية وتفاسير لها تعابير عنها أحرى أن تسمى أناجيل .

فلا يحق لها اسم الإنجيل حقيقة ، وإنما إطلاق لفظ أهل الكتاب وأهل الإنجيل على أمة المسيح — عليه السلام — لما كان عندهم الإنجيل الأصلى الذى أوحى الله تبارك وتعالى به إلى عيسى — عليه السلام — فافتقدوه بادىء ذى بدء ، ثم لما عندهم من بعض الإنجيل المنقول فى هذه الكتابات . [١]

إذا فإنجيل المسيح شيء وأسفار المبشرين شيء آخر وإن وافقته فى بعض الفقرات .

---

(١) المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية جـ ١ ص ١٣ — ١٥ بتصرف كثير

حقيقة الإنجيل فى عرف الإسلام

يرى الإسلام أن الإنجيل هو الكتاب السماوى الذى أنزله الله — تبارك وتعالى — على عبده ونبيه عيسى — عليه السلام — ، وهو الذى عرف به عيسى وهو لم يزل فى مهده وحكاه القرآن الكريم فى قوله تعالى « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا »[1].

وحين بلغ مبلغ الرسالة هبط عليه روح القدس جبريل الأمين فبلغه ذلك الكتاب من الله وسمى الإنجيل كما قال سبحانه : « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور .. الآية »[2] .

ولم يصح فى عرف الإسلام إنجيل آخر بديلا عن ذلك الإنجيل المنزل على نبى الله عيسى ، والذى بشر به بنى اسرائيل قائلا فى صلاته إلى الآب : « لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم »[3] .

وهو الإنجيل الذى أمر عيسى تلاميذه أن يبلغوه إلى الناس فى أيام رسالته ومن بعده مما أشار إليه قوله تعالى « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون »[4] .

قال المفسرون : إنهم رسل المسيح إلى أهل أنطاكية[5] .

وقد أشار المسيح — عليه السلام — إلى إنجيله المنزل عليه من عند الله بالإشارة الحسية دلالة على تحقق وجوده بين يديه ، فمن ذلك قول مرقس على لسان عيسى — عليه السلام — « قد كمل الزمان واقترب

---

(١) مريم : ٣٠ (٢) المائدة : ٤٦
(٣) يوحنا ١٧ : ٨ (٤) يس : ١٣
(٥) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٦

ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »[1] وغير ذلك من الشواهد الكثيرة التى تنص على أن هناك إنجيلا أوحى به من عند الله سبحانه — وأشار إليه المسيح .

وإذا ماوجد اليوم إنجيل ينسب إلى غير المسيح لعدم وجود أصله المنزل على المسيح فمن البداهة أنه لايستغنى عن الأصل بالفرع خاصة بعد ماعلم مما ذكره يوحنا فى آخر إنجيله بأن هذه الأناجيل لم تف بكل ماجاء به المسيح ، وأن الذى لم يذكر فى الأناجيل أكثر مما ذكر فيها وكتب قال يوحنا « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة »[2] .

فلعل فى المتروك الذى لوح إليه يوحنا كل الحقائق المقضى بها من الله ، والتى من أجلها جاء المسيح .

ومهما يكن من أمر فقد ذكر المسيح الإنجيل معرفا بأل التى للعهد الذكرى والذهنى . هذا هو رأى الاسلام والمسلمين فى الإنجيل الذى نزل على عيسى من عند الله سبحانه .

إنجيل المسيح الحقيق وضياعه :

الإنجيل الحقيقى هو الوحى المنزل من عند الله تعالى على رسوله عيسى — عليه السلام — ، وهذا الإنجيل ضائع ومفقود إذ لولم يكن مفقوداً لكان يوجد عندهم أوعندنا لكنه ليس بموجود عند الفريقين ، ولا يعلم كيف ضاع ، ولامتى ضاع ، ولكن يحتمل أن اليهود حينما هجموا

---

(١) مرقس ١ : ١٥ (٢) يوحنا ٢١ : ٢٥

على المسيح ليقتلوه وجدوا الكتاب معه فأخذوه فإما أحرقوه أومزقوه أونحو ذلك ، ولم يكن من قبل منتشرا فى العالم إذكان حديث عهد بالنزول ، ولم يكن أيضا محفوظا فى صدور أصحابه الحواريين وغيرهم كاحفظ المسلمون القرآن على عهد رسول الله ﷺ .

ويحتمل أيضا أنه لم يكن مكتوبا إلى الساعة التى هجموا عليه فيها فذهب مع من أنزل عليه . وعلى كلا الإحتمالين يكون إسناده قد انقطع من أول الأمر .

وقد دلت النصوص الواردة فى الأناجيل والرسائل دلالة قاطعة بأن المسيح — عليه السلام — نزل عليه كتاب من السماء ، وألقاه على تلاميذه مشافهة ، وحفظوه من غير كتابة كشأن كل نبى ومتبعيه ، ولم يكلف المسيح أحدا بكتابته ، ولم يقل أحد من المحققين والكاتبين بأنه تطوع أحد تلاميذه بكتابته فى أيام دعوته ووجوده معهم حتى رفع ، وإن كان هناك احتمال بأن بعضهم كتبه بعد المسيح ، وهو الذى استمسك به الموحدون من أتباعه ، وأشار إليه بولس الرسول فى رسائله ، واعتقده أهل الكهف فى عهد الملك (ذاكيوس) والذى كان يدعوا إليه المرسلون إلى أهل أنطاكية الوارد ذكرهم فى سورة يس . كما يقول المفسرون .

لكن هنا يطرأ سؤال لماذا لم يكتب الإنجيل ، وتنتشر كتابته ، ويحفظ فى الصدور ، وينتشر حفاظه كما كان الشأن بالنسبة للقرآن الكريم ؟ .

إن كلمة إنجيل — كما قلت سابقاً — يراد منها الفكرة المعنوية ، والطريقة المؤقتة ، والأمل والصبر ، حيث كانت الكلمة من سبرتة . سريانية . بمعنى صبر . فى اللغة العربية ، ولم يذهب أحد من الحواريين ولا الكنيسة القديمة إلى أن فى لفظة إنجيل ما يدل على معنى كتاب أو مصحف ،

ذلك أن طريقة المسيح — عليه السلام — كانت مؤقتة ومبشرة بسعادة عظيمة خالدة تأتى بعده، ويعبر عنها بهذه الألفاظ: ملكوت الله الذى يأتى فى المستقبل، والدليل على ذلك قول مرقس «وبعد ماأسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله»(١).

فهذه الفقرة من إنجيل مرقس تبين لنا أن عيسى كان يعظ بإنجيل آخر لابهذه الأناجيل الحالية كى تنسب إليه، وقد قال بعد ذلك «ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»(٢).

وأما شركة «بايبل سوسايتى»، و«جمعية المبشرين فقد ترجموا الإنجيل هنا وهناك — بما تهوى أنفسهم — بلفظ بشارة، وذلك لأجل تخليط الأمر على المسيحيين حتى لا يتساءلوا فيما بينهم عن الإنجيل الحقيق.

لذلك طووا لفظ إنجيل واستبدلوا بها لفظ البشارة(٣).

فلقد كان للمسيح — عليه السلام — إنجيل يكرز فيه بملكوت الله وهو مجيء الرسول الخاتم محمد ـ ﷺ ـ

إنجيل المسيح فى الأناجيل ورسائل الرسل:

وهذا الإنجيل المنزل على المسيح من عند الله قد جاء ذكره فى الأناجيل وغيرها من الرسائل. فتارة يطلقون عليه كلمة (الإنجيل) مطلقة،

---

(١) مرقس ١ : ١٤

(٢) السابق ١ : ١٦

(٣) المقارنات العلمية والكتابية ج ١ ص ١٥، ١٦

وأخرى كلمة (إنجيل الله) وثالثة كلمة (إنجيل إبنه أو انجيل المسيح) ورابعة كلمة (بشارة الملكوت أو بشارة ملكوت الله) .

فمما جاء عن الإطلاق الأول قول متى حكاية عن المسيح — عليه السلام — « الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها »[١] .

وهذه إشارة إلى المرأة التى سكبت قارورة الطيب على رأسه .

وفى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس « صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه »[٢] .

وعن الثانى قول بولس « هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا لأنكم صرتم محبوبين إلينا »[٣] .

وعن الثالث قول بولس « أشكر إلهى يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل إبنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم »[٤] .

وقوله « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح »[٥] .

---

(١) متى ٢٦ : ١٣
(٢) كورنثوس الأولى ٩: ٢٢، ٢٣
(٣) تسالونيكى الأولى ٢: ٨
(٤) رومية ١: ٨، ٩
(٥) غلاطية ١: ٦، ٧

وهذا برنابا يخبرنا عن إنجيل المسيح قائلا «أجاب يسوع : صدقونى أنه لما اختارنى الله ليرسلنى إلى بيت إسرائيل أعطانى كتابا يشبه مرآة نقية نزلت إلى قلبى حتى أن كل ما أقول يصدر عن ذلك الكتاب ، ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من فمى أصعد عن العالم .

أجاب بطرس : يامعلم هل ماتتكلم الآن به مكتوب فى ذلك الكتاب ؟

أجاب يسوع : إن كل ما أقول لمعرفة الله ولخدمة الله ولمعرفة الإنسان ولخلاص الجنس البشرى إنما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب الذى هو إنجيلى »[١] .

وعن الإطلاق الرابع جاء فى الإنجيل «وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز «يبشر» ببشارة ملكوت الله ، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل[٢] .

فهذه صرخة المسيح المدوية مع الأبد «توبوا وآمنوا بالإنجيل» أى انطلقوا وتحللوا عما يختلق باسم الإنجيل ، وآمنوا بإنجيلى أنا . كما تشير هذه الصرخة إلى أنه كان هناك من يناوئه فى دعوته وكتابه .

وهناك إطلاقات كثيرة على إنجيل المسيح الذى جاء به من عند الله غير ما ذكرت منها : بشارة الملكوت يقول متى «كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب »[٣] .

---

(١) برنابا ١٦٨ : ٢ — ٥
(٢) مرقس ١ : ١٤ ، ١٥
(٣) متى ٤ : ٢٣

ومنها : أخبار السلام والرحمة من المسيح يقول بولس « وكيف يكرزون إن لم يرسلوا . كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات [١]

ومنها إنجيل السلام يقول بولس « ... وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام [٢] .

ومنها : إنجيل الخلاص يقول بولس « الذى فيه أيضا أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم ... [٣] .

فالإنجيل المذكور فى هذه العبارات جميعها هو غير العهد الجديد قطعا وغير إنجيل برنابا . لأن المسيح — عليه السلام — كان يعظ بذلك الإنجيل ، وليس بمعقول أن يعظ بهذه التواريخ الأربعة ، أو الرسائل ، أو إنجيل برنابا . لأنها كلها صنفت بعد رفعه إلى السماء ، ولأنها ليست كلها مما يستحق أن يوعظ به بل بعض فقراتها فقط ، ولأن الأنجيل الحقيقى سمى بإنجيل المسيح ، وإنجيل ملكوت الله إلخ » وهذه الأناجيل الحالية لا تستحق هذه الأسماء ولا واحد منها لأنها من وضع متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبرنابا وغيرهم بعد رفع المسيح — عليه السلام — فلا تنسب إلا إليهم .

ولأنه أطلق عليه كلمة الإنجيل وهى إذا أطلقت انصرفت إلى الإنجيل الذى نزل به الروح الأمين بأمر الله تعالى على رسوله عيسى — عليه السلام — ، لا إلى هذه الأناجيل والرسائل فانها لا دخل للوحى فيها ، وليست منزلة من عند الله ، وإنما هى رسائل شخصية وتواريخ

(١) رومية ١٠ : ١٥
(٢) أفسس ٦ : ١٥
(٣) أفسس ١ : ١٣

مختصرة لحياة المسيح — عليه السلام — تشتمل على القليل من أقواله وأفعاله ، شأنها فى هذا شأن السير المختصرة لحياة سيدنا محمد — ﷺ — إلا أن ثمة فرق يجعل البون شاسعا بين أناجيلهم ورسائلهم وبين كتب السير عند المسلمين وهو انقطاع إسناد كتابهم واتصال إسناد السير عند المسلمين بنقل الثقاة المأمونين عن مثلهم إلى آخر الإسناد ،

يقول الشيخ رحمة الله الهندى : إعلم أرشدك الله تعالى أنه لابد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلانى ، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولاتبديل ، والإستناد إلى شخص ذى إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد إدعاء فرقة أوفرق لايكفى فيه ... فإذا كان الأمر كذلك فلانعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي أو حوارى أنه إلهامى أو اجب التسليم ، وكذلك لانعتقد بمجرد ادعائهم بل نحتاج إلى دليل ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم .

فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمأة وثلاث عشرة سنة .

ثم يقول : وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت إن الظن فى هذا الباب لايغنى شيئا ، فما دام لم يأتوا بدليل شاف ، وسند متصل فمجرد المنع يكفينا ، وإيراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا [1] .

وإنما أضيف الإنجيل الحقيقى إلى الله تارة ، وإلى المسيح تارة أخرى لأنه باعتبار الموحى إنجيل الله ، وباعتبار الموحى إليه إنجيل المسيح .

---

(١) إظهار الحق ج١ ص ٢٣

شهادة علماء ومؤرخى المسيحية الأحرار

على وجود إنجيل أصلى للمسيح غير هذه الحالية

تضافرت شهادات علماء ومؤرخى المسيحيين على أنه كان فى القرن الأول فى عهد عيسى — عليه السلام — إنجيل موحى به من عند الله ، وأنه قد فقد ووضعت مكانه أناجيل أخرى كثيرة فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث . وهؤلاء المؤرخون لم يقيدهم فى بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية ، فهم يصرحون بأنه كان فى القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل فيها ماجاء به المسيح وخلاصة أحواله .

قال نورتن فى كتابه الإسناد فى المجلد الأول منه . قال إكهارن فى كتابه : إنه كان فى أبتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها هى الإنجيل الأصلى ، والغالب أن هـــذا الإنجيل لم يكن سوى للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها على الترتيب ا هـ .

ويعلق صاحب اظهار الحق على ذلك فيقول : فكان هذا الإنجيل على قول اكهارن مخالفا لتلك الأناجيل المروجة الآن مخالفة كثيرة ، تلك الأناجيل ليست بمنزلة القلب كما كان هذا الإنجيل لأن تلك الأناجيل كتبت بالصعوبة والمشقة ، وكتب فيها بعض أحوال المسيح التى لم تكن فيه ، وهذا الإنجيل كان مأخذاً لجميع الأناجيل التى كانت رائجة فى القرنين الأول والثانى ، كما أنه كان معيارا ومرجعاً لكل من إنجيل متى ومرقس ولوقا هذه الثلاثة التى فاقت على الأناجيل الأخرى ، وطمست معالمها ،

لأن هذه الثلاثة وإن كان يوجد فيها نقصان الأصل لكنها وقعت فى أيدى الذين جبروا نقصانها ، وتبرؤا من الأناجيل التى كانت مشتملة على أحوال المسيح التى ظهرت بعد النبوة ، فضموا إلى هذه الثلاثة أحوالا أخر مثل بيان النسب ، وحال الولادة والبلوغ وغيرها (١) .

وأقول: ليت الكنيسة جردت الإنجيل الأصلى الذى حصل للواعظين السابقين لتصديق وعظهم عن الإلحاقات ، وحرصت على المحافظة عليه عبر القرون بدلا عن سائر الأناجيل كى يكون حكما فصلا بين المختلفين ، وقسطاسا مستقيما ترجع إليه المجامع القديمة والحديثة التى حكمت حين الانشقاق ، وليكون مصدراً علمياً لمن يكتب فى المسيحية الأولى التى جاء بها المسيح من عند الله ، كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم فهو معيار لشتات ماينقل من السنة عن الرسول — ﷺ — تعرض عليه ، فيقبل مايوافقه ، ويطرح أو يوجه إلى الحق مالا يوافقه .

لكن أمر التجريد ما كان ممكنا للكنيسة ، لأنه لم تعد هناك نسخة خالية عن الإلحاق ، كما أن الأسباب التى يعرف بها الأصل من الإلحاق فى غاية القلة .

يقول اكهارن : إنه لايمكن فى زماننا لأجل وجود صنعة الطبع أن يحرف كتابا أحد ، لكن هذا كان ممكنا فى الزمان السابق قبل ظهور صنعة الطبع ، لأن النسخة الواحدة المملوكة لواحد يمكن فيها التغيير والتبديل ، فإذا نقلت عن هذه النسخة نسخ متعددة ، ولم يحقق أن هذه النسخة مشتملة على كلام المصنف فقط أم لا ، فهذه النقول تنتشر لأجل عدم العلم .

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ١١٠ بتصرف يسير

ثم قال : وكثير من النسخ المكتوبة فى الأزمنة المتوسطة موجودة الآن أيضا ، ومتوافقة فى العبارات الإلحاقية أو الناقصة .

وقال أيضا : قد اختلط الكذب فى رواية بيان المعجزات التى نقلها لوقا ، والكاتب ضمه على طريقة المبالغة الشاعرية ، لكن تميز الصدق عن الكذب فى هذا الزمان عسير . اهـ .

فظهر من كلام اكهارن الذى هو مختار كثير من العلماء المتأخرين أربعة أمور :

الأول : أن الإنجيل الأصلى قد فقد .

الثانى : أنه يوجد فى هذه الأناجيل الروايات الصادقة والكاذبة .

الثالث أنه وقع فيها التحريف أيضا ، وكان سلسوس — من علماء الوثنيين — يصيح فى القرن الثانى : أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات ، أو أزيد من هذا تبديلا كأن مضامينها أيضا بدلت .

الرابع : أنه لا توجد إشارة إلى هذه الأناجيل الأربعة قبل آخر القرن الثانى ، أو ابتداء القرن الثالث [١] .

وتذكر دائرة المعارف الانجليزية التى اجتمع فى تأليفها خمسمأة من علماء الانجيل من مختلف المجامع الانجيلية تذكر أيضا خمسة وعشرين من الأناجيل القديمة ومنها إنجيل المسيح كما يلى :

١ — انجيل المصريين ق ٢ الميلادى

٢ — إنجيل العبرانيين ، القرون الأولى

٣ — إنجيل الاثنى عشر ٢ م ٤ — إنجيل أندريو

٥ — إنجيل برنابا ٦ — إنجيل بطرس ٢ م

---

(١) السابق جـ ١ ص ١١١ ، ١١٢ ملخصا

٧ — إنجيل برتولوماس ٨ — إنجيل جيمس

٩ — إنجيل تديوس ١٠ — إنجيل أبلس

١١ — إنجيل باسيليدس ١٢ — إنجيل كرنيتوس

١٣ — إنجيل ابيونتس ١٤ — إنجيل حوا

١٥ — إنجيل يهوذا الاسخريوطى ١٦ — إنجيل الحيوة

١٧ — إنجيل مريم ١٨ — إنجيل توماس

١٩ — إنجيل متياس ٢٠ — إنجيل فيليب

٢١ — إنجيل توماس

٢٢ — إنجيل الصدق وكان متداولا بين الوالنتيين

٢٣ — إنجيل ماركيين ٢٤ — إنجيل نيقوديمس

٢٥ — إنجيل المسيح — عليه السلام — [١] .

وهذه الأناجيل كانت منتشرة متداولة فى القرون الأولى المسيحية إلا أن الأساقفة ، وجمهرة علماء الدين (عبر القرون) قضوا على عدد منها منعا عن الاستناد والرجوع إليها .

وهذا مايذكره جرجس زوين الفتوحى اللبنانى — أحد تلاميذ الرهبان اليسوعيين قائلا : فأوغسطينوس «وهو أحد آباء الكنيسة» أخبر عن الأحد عشر رئيساً المبشرين الآخرين أنهم كانوا أصحاب أناجيل ، اتبعوا المسيح باعتقادهم به :

(١) دائرة المعارف الانجليزية ص١٧٩ ، ١٨٠ تحت عنوان خرافات الأدبيات — أبو كريفل لتريجر نقلا عن كتاب المقارنات العلمية والكتابية جـ١ ص ٢٤ ، ٢٥

إنسانا ليس لا هو تيا ، وأخبروا بإنجيلهم عن أعمال المسيح بحال حياته (١) .

وآدم كلارك فى الجزء السادس من تفسيره يقول : هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أوليات القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأحوال هيجت لوقا على تحرير الإنجيل ، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة ، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية (٢) .

فعلم من اقرار المفسر أن هذه الأناجيل الكاذبة كانت موجودة قبل انجيل لوقا ، وقبل تحرير بولس رسالته إلى أهل غلاطية ، ولذلك قال المفسر :

أولا : وكثرة هذه الأحوال إلى آخره .

وقال ثانيا : ويعلم إشارة الحوارى إلى واحد من هذه الأناجيل .

فثبت أن المراد بالأنجيل فى كلام مقدسهم بولس الإنجيل المدون لا معناه ... (٣)

---

(١) المرجع السابق نقلا عن كتاب المقارنات

(٢) إظهار الحق جـ ١ ص ١٧٠

(٣) السابق نفس الصفحة

الفصل الأول

العهد الجديد ليس وحيا سماويا

بينت فيما سبق أن العبارات التى استند اليها النصارى فى إثبات عقيدتهم لاتثبت مطلوبهم ، كما بينت معنى كلمة إنجيل ، وأن الإنجيل المنزل على عيسى — عليه السلام — ليس هو العهد الجديد الذى بأيدى النصارى الآن .

وسأبين هنا أن العهد الجديد من وضع البشر ، وليس وحياً سماوياً فأقول وبالله التوفيق :

إنه لاتجوز نسبة كتاب إلى الله — سبحانه — واعتقاد أنه منزل من عنده إلا إذا تواتر عن نبى من الأنبياء بأن يرويه جمع يؤمن عدم تواطئهم على الكذب عن مثلهم ، وهكذا فى جميع الطبقات حتى ينتهى الإسناد إلى النبى الذى روى عنه الكتاب ، والعهد الجديد لم يتواتر عن نبى ، وإنما روى بإسناد منقطع عن غير الأنبياء ، ولتوضيح ذلك أقول :

إن أناجيلهم المعول عليها عندهم هى إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وانجيل يوحنا . وهذه الأربعة من تصنيف هؤلاء الأشخاص وهم ليسوا بأنبياء ، ومثلهم مصنفوا الرسائل ، ومن لايكون نبياً لايكون معصوما ، ولايؤمن عليه الغلط والسهو والكذب ، وذلك ينافى الثقة به والاطمئنان إلى قوله ، وأن ماادعوه من خوارقهم التى جاء ذكرها لبعضها

فى إنجيل متى[١] لم ينقل شىء منها عن طريق القطع ، وإنما هى أخبار آحاد منقطعة وغير صحيحة . ولو سلمنا صحتها مادلت على نبوتهم ، لأنهم لم يدعوا النبوة لأنفسهم ، وإنما ادعوا أنهم رسل عيسى — عليه السلام — كما جاء فى قول المسيح « كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم »[٢] .

الحواريون وهل هم أنبياء ملهمون أم دعاة مرشدون ؟

وهل تبشيرهم فى الأمم كان بتفويض من الله عن طريق الوحى أم باختيار من عند أنفسهم ؟

الحواريون هم أصفياء عيسى — عليه السلام — ، وهم أول من آمن به ، وكانوا اثنى عشر رجلا ، وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص .

وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها[٣] .

وقال صاحب تفسير المنار : الحواريون أنصار المسيح ، والنصر لا يستلزم القتال فالعمل بالدين ، والدعوة إليه نصر له ، ولا يحق لأحد أن يتكلم فى عددهم لأن القرآن الكريم لم يعينه .

وهذا اللفظ مأخوذ من « الحوارى » وهو لباب الدقيق وخالصه ، لأنه

---

(١) إشارة إلى قوله « ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف » متى ١٠ : ١

وقول المسيح لرسله « اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين .. » السابق نفس الإصحاح فقرة ٨

(٢) يوحنا ١٧ : ١٨

(٣) تفسير النسفى ج ٤ ص ٢٥٤

من خيار القوم وصفوتهم. أو من «الحور» وهو البياض.

وفى حديث الصحيحين «إن لكل نبى حوارى وإن حوارى الزبير ابن العوام»[1].

ومن هنا قيل: إن هذا الاسم خاص بأنصار الأنبياء[2].

ويعتقد الكثير من المسيحيين أن الحواريين ماهم إلا أنبياء ورسلا من عند الله، ينزل عليهم الوحى، وتصنع على أيديهم المعجزات والآيات الباهرة.

جاء فى تاريخ الأقباط: وفى يوم الخمسين كانوا يصلون جميعاً بحرارة، فانطلق فجأة صوت من السماء كهبوب الريح العاصفة، وملأ البيت كله، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، فامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بلغات مختلفة، وكان هنالك يهود من كل أمة فبهتوا بما رأوا وسمعوا، وآمن كثيرون..

ثم بدأ تلاميذه وقد امتلأوا من الروح القدس— يصنعون من الآيات والعجائب ما كان يسوع يصنعه.

ثم أورد قصة إبراء بطرس لمقعد، وإحيائه لصبية اسمها طابيثا.. ثم قال: وكان شاول (بولس) ممتلئا حقدا على المسيحيين، فتقدم إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى دمشق ليقبض عليهم ويسوقهم موثقين إلى أورشليم، وفيما هو فى الطريق وقد اقترب من دمشق أبرق

---

(١) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق باب فضائل أصحاب النبى ﷺ جـ ٥ ص٢٧ ط دار الشعب.

(٢) تفسير المنار جـ ٣ ص ٢٥٨

حوله بغتة نور من السماء فسقط على الأرض وقد عميت عيناه، وسمع صوتا يقول له : شاول شاول لماذا تضطهدنى . فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال: أنا يسوع الذى أنت تضطهده . فقال وهو يرتعد : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ وذكر قصة وضعه يديه على أحد التلاميذ وكان أعمى . من بنى إسرائيل ، وفى الحال خرج من عينيه شيء كالقشور فأبصر فى الحال ، وقام واعتمد ، وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح[1] .

كما اعتقد الكثير منهم بأن الحواريين معصومون من الخطأ والزلل مثل الأنبياء ، ولهذا فإن ترجمتهم للأناجيل إنما هى بوحى من الله إليهم[2] .

ولم يمض القرن الأول حتى كانوا قد بشروا معظم أقطار المسكونة ، وأسسوا كنائس فى كل مكان ، وكتبوا الأناجيل والرسائل التى بعثوا بها إلى الأمم فكانت هى الشعلات التى أضاءت سبيل الإيمان بالمسيح وأصبحت نصوصها هى شريعة المسيحيين فى كل العصور[3] .

والحقيقة أن الحواريين ماهم إلا رسلا من قبل عيسى — عليه السلام — أرسلهم للتبشير حال حياته ، وهم تلاميذه الإثنى عشر وسبعون آخرون[4] .

وهم فى ذلك بمنزلة رسل محمد — ﷺ — أى أنهم رسل رسول الله، وبهذا المعنى لايكونوا أنبياء ، لأن النبوة إنما تكون من الله تعالى لامن

---

(١) تاريخ الأقباط جـ ١ ص٧١، ٧٢ بتصرف يسير .
(٢) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٠٠
(٣) تاريخ الأقباط جـ ١ ص٧٣
(٤) متى ١٠ :١—٤ ولوقا ٩ :١— ٦و١٠ :١، ١٧

رسول إلى غيره . ولهذا وجب أن أوضح الفرق بين النبي والحوارى

أولا : من حيث الأسلوب :

١ — يؤكد النبي أنه يتحدث بناء على تفويض من الله . أما الحوارى فإنه يؤكد أنه يتحدث باسمه ، ويعبر عن تفكيره وآرائه الشخصية .

٢ — النبوة من عند الله . أما رسالة الحوارى فإنها من عنده هو .

٣ — النبوة توقيف من الله ، واختيار إلهى للنبي . أما رسالة الحوارى فهى تطوع من لدنه ، ومن أى فرد يشعر بأن لديه القدرة على نشر الدعوة .

٤ — النبي لا يخطىء لأن رسالته يقينية . أما الحوارى فيخطىء ويصيب ورسالته ظنية يمكن الشك فيها باعتراف الحوارى نفسه .

ثانياً : من حيث طريقة التعبير :

١ — نجد أن النبي لا يستدل ، بل يتحدث معتمداً على السلطة الإلهية . أما الحوارى فإنه يستدل ويناقش ، يجادل ويحاج .

٢ — يبلغ النبي حقائق النبوة التى عرفها من الوحى . أما الحوارى فإنه يفكر ، ويعتمد على العقل وعلى العواطف والإحساسات والإنفعالات وسلوك منهج الترغيب والترهيب ، وتبيين الفضائل والدعوة إليها ، وإظهار الرذائل والتحذير منها مثله كمثل الداعية إلى الله تماماً .

وقد يقترب النبي من الإستدلال لو كانت معرفته بحقائق الوحى أقرب إلى المعرفة الفطرية . لأن معرفة الأنبياء عادة تأتى من فوق الطبيعة .

٣ — النبي يعطى من المعجزات وخوارق العادات ما يستطيع به أن أن ينشر دعوته التى جاء بها من عند الله ، وبما يتفق وأحوال الأمة التى بعث فيها . أما الحوارى فإنه لا يستطيع إجراء المعجزات لأنه ليس نبيا

مؤيدا بسلطة إلهية ، وإن كان سفر « اعمال الرسل » قد أعطاهم هذه السلطة باسم الروح القدس أسوة بالمسيح وتأكيدا لتبشيرهم بالأعمال .

٤ — النبى يوجه من قبل الله سبحانه وتعالى ، وينتظر الوحى للإجابة على أسئلة قومه الذين بعث فيهم ، ويأخذ أسلوب التبليغ من ربه . أما الحوارى فإنه يختار الطريقة التى تلائمه لنشر الدعوة ولتحذير الناس.

فبولس — مثلا — أقام المسيحية على أسس خاصة به مستبعدا الأسس الأخرى لسائر الحواريين .

فقد دعا إلى إمكان الخلاص بالإيمان وحده دون سائر الأعمال ، وأكد عقيدة القدر السابق . فى حين أن يعقوب دعا إلى إمكان الخلاص بالإيمان والعمل معا ، فالإيمان دون العمل إيمان ميت — معارضا بذلك عقيدة بولس .

وقد كان هذا الإختلاف فى الأسس سببا للتفرقة والتشيع إلى طوائف مختلفة داخل الكنيسة وخارجها [1] .

وبهذا يتبين أن الحواريين إنما بشروا وكتبوا الأناجيل باعتبارهم علماء وفقهاء ورجال دين . لا باعتبارهم أنبياء يوحى إليهم من عند الله بشريعة جديدة ، واختاروا أمثل الطرق ملائمة لهم فى الإقناع ، وتمكن الإستغناء عن كثير من كتاباتهم دون أن ينقص ذلك من الوحى شيئا .

على أن المتفحص لأسلوب الرسائل يجد أنه يختلف تماماً عن أسلوب النبوة . فالأنبياء كانوا يؤكدون دائماً أنهم يتحدثون بتفويض من الله مثل قولهم : هذا هو كلام الرب، يقول رب الجيوش ، بأمر الرب ... إلخ

(١) سبينوز رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٧٠، ٧١، ٧٢

وليس ذلك فى الأحاديث التى يلقونها علنا فقط ، بل أيضا فى فى الرسائل التى تتضمن وحيا كما هو واضح فى سفر حزقيال، هكذا قال السيد الرب : إنى أنزع العمامة ، وأرفع التاج .

هذه الحال لاتبقى بل أعلى السافل ، وأسفل العالى » [١] «

و كما جاء فى سفر الأخبار الثانى هـذه الكلمات « هكذا قال الرب » [٢] .

أما فى رسائل الحواريين فلا نجد شيئا كهذا ، بل على العكس نجد بولس يتحدث إلى أهل كورنثوس فيقول « ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيى » [٣] يعنى وفقاً لتفكيره الخاص .

بل إننا نجد فى فقرات كثيرة طرقاً فى الكلام تنم عن نفس مزعزعة مضطربة مثل ماجاء فى الرسالة إلى أهل رومية « إذا نحسب » [٤] وقوله « فإنى أحسب »[٥] وفقرات كثيرة أخرى مشابهة .

وكذلك نجد طرقا أخرى للكلام بعيدة كل البعد عن السلطة النبوية .

مثل قول بولس «وأنا إنما أقول الحق ذلك على سبيل الإباحة لا على سبيل الأمر » [٦] وقوله « ... فليس فيها عندى وصية من الرب لكنى أفيدكم فيها مشورة بما أن الرب رحمنى أن أكون أمينا » [٧] .

---

(١) حزقيال ٢١ : ٢٦ ترجمة الكاثوليك

(٢) أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١٢

(٣) كورنثوس ٧ : ٤٠

(٤) رومية ٣ : ٢٨

(٥) السابق ٨ : ١٨

(٦) إكورنثة ٧ : ٦ ترجمة الكاثوليك

(٧) نفس الرسالة ٧ : ٢٥ كاثوليك

وفى الأناجيل والرسائل فقرات أخرى مشابهة .

ويلاحظ أنه عندما يقول فى الإصحاح السالف الذكر أن لديه تفويضاً أو أوامر من الله ، أو ليس لديه ذلك ، فإنه لايعنى أمراً أو تفويضاً أوحى به الله إليه ، بل إنه يعنى فقط التعاليم التى أعطاها المسيح تلاميذه على الجبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإذا فحصنا الطريقة التى نقل بها الحواريون عقيدة الإنجيل نجد أنها تختلف اختلافاً كثيراً عن طريقة الأنبياء .

فالحواريون يستعملون الإستدلال فى كل الأحيان حتى ليبدو أنهم لايتنبئون . بل يجادلون . وعلى العكس فإن النبوات لاتحتوى إلا على عقائد وأوامر ، لأن الله سبحانه هو الذى يتحدث . أعنى أن الله لايستدل . بل يأمر لماله من سلطة مطلقة .

وهذا يرجع أيضا إلى أن سلطة النبى لاتتلاءم مع الإستدلال ، فمن يريد إثبات العقائد التى يعتنقها بالإستدلال يخضعها بذلك لحكم كل فرد ، وهذا ماكان يفعله بولس عندما يقول :

« أقول كما يقال للحكماء فاحكموا أنتم فيما أقول » (١) .

وهكذا فإن طرق حديث الحواريين وأسلوبهم فى المناقشة — كما هو واضح فى الرسائل — يدل بوضوح تام على أن هذه الكتابات لم تصدر عن وحى ، أو بتفويض إلهى ، بل هى مجرد أحكام شخصية وطبيعية لمؤلفيها ، كما تتضمن نصائح أخوية مقترنة بتعبيرات مجاملة مهذبة .

وهذا مناقض تماما للطريقة التى يعبر بها النبى عما أوحى إليه من عند الله .

---

(١) نفس الرسالة ١٠ : ١٥ كاثوليك

ومن تعبيرات المجاملة الأخوية قول بولس فى اعتذاره الذى يقدمه « قد اجترأت قليلا فيما كتبت إليكم أيها الإخوة »[١] .

وعلى هذا أستطيع أن أنتهى إلى نفس الإستنتاج إذا ماعلم أنه لا يوجد فى أى موضع مايدل على أن الحواريين قد تلقوا من الله أمراً بالكتابة : بل إنهم تلقوا فقط من المسيح — عليه السلام أمرا بالتبشير فى كل مكان يذهبون إليه ، وبتأييد أقوالهم بالآيات الإنجيلية . إذ كان حضورهم ضروريا ، وكذلك مايقومون به من خوارق إنما كان لهداية الناس إلى الدين وتثبيتهم عليه كما يصرح بذلك بولس فى قوله « لأنى أتشوق أن أراكم لأفيدكم شيئا من المواهب الروحية لتأييدكم »[٢] .

كما أن تبشير الحواريين نفسه لم تكن له صفة النبوة ، فعندما كانوا يرحلون للتبشير فى البلاد التى ذهبوا إليها لم يقوموا بذلك بتفويض إلهى كما كانت الحال عند الأنبياء[٣] .

فمن يقرأ العهد القديم يجد أنه ينص صراحة على أن موسى — عليه السلام — بعث إلى بنى إسرائيل ، وأوحى إليه بما كان عليه أن يبشر به .

كذلك يروى العهد القديم عن موسى — عليه السلام — بالتفصيل أنه رحل إلى مصر بوصفه رسولا لله ، كما يروى لنا ماكان يتعين عليه أن يقوله للإسرائيليين ، وللملك فرعون ، وما هى الآيات التى يمكنه بها إقناعهم ، وهكذا مع باقى أنبياء بنى إسرائيل[٤] .

---

(١) رومية ١٥ : ١٥ كاثوليك

(٢) السابقة كاثوليك ١ : ١١

(٣) سبينوزا رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٣٣٠ بتصرف

(٤) سفر الخروج من الإصحاح الثالث حتى الخامس عشر

فهذا كله يدل على أن الأنبياء لم يبشروا إلا بما تلقوه من الله سبحانه كما يشهد بذلك العهد القديم .

بخلاف الحواريين فإنهم كانوا يذهبون هنا وهناك للتبشير دون أن نرى فى العهد الجديد أنهم قد تلقوا شيئا مشابها لما تلقاه الأنبياء .

بل إننا نجد نصوصا صريحة تدل على أنهم اختاروا بأنفسهم وبمحض إرادتهم الأماكن التى بشروا فيها كما هو واضح فى المناقشة التى وصلت إلى النزاع بين بولس وبرنابا [١] :

ونرى أيضا أنهم قد حاولوا الذهاب إلى مكان ، وأخفقوا فى ذلك كما يشهد بذلك بولس نفسه إذ يقول « ... أيها الإخوة إنى مرارا كثيرة قصدت أن آتى إليكم . ومنعت حتى الآن » [٢] .

وقوله « لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة عن المجىء إليكم » [٣] .

وقوله « وأما من جهة أبلوس « بولس » الأخ فطلبت إليه كثيرا أن يأتى إليكم مع الإخوة ، ولم تكن به إرادة البتة أن يأتى الآن . ولكنه سيأتى متى توفق الوقت » [٤] .

١ — من هذه اللغة التى وردت فى النصوص السابقة .

٢ — ومن المناقشة التى دارت بين الحواريين .

---

(١) جاء فى سفر الأعمال : « فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما » أعمال ١٥ : ٣٧ ، ٣٨

(٢) رومية ١ : ١٣ (٣) نفس الرسالة ١٥ : ٢٢

(٤) كورنثوس ١٦ : ١٢

٣ — ومن عدم وجود نصوص تشهد بأنهم كانوا يرحلون للتبشير بتفويض من الله كما كان يفعل الأنبياء .

من هذا كله نستنتج أن الحواريين قد قاموا بالتبشير بوصفهم معلمين لا بوصفهم أنبياء .

على أن المتفحص للرسالة التي اضطلع بها أنبياء العهد القديم ، والرسالة التي اضطلع بها الحواريون . يرى أن أنبياء العهد القديم لم يدعوا للتبشير كل الأمم . بل أمم بعينها ، لذلك كان لابد لكل نبي من تفويض صريح خاص به .

بخلاف الحواريين فإنهم بشروا الجميع على السواء ، ودعوا لهداية الناس جميعا إلى الدين (الجديد) ولم يكونوا فى حاجة إلى أن توحى إليهم موضوعات التبشير قبل أن يرحلوا ، وهم تلامذة المسيح الذين قال لهم « فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به » [1] .

وقد كتب البشيرون رسائلهم بوصفهم حواريين ، لا بوصفهم أنبياء ملهمين ، ولهذا ذكر كل منهم فى أول رسالته صفته كحوارى [2] .

ولعلهم أرادوا بذلك أن يجتذبوا ذهن القارىء ، ويسترعوا انتباهه بطريقة أيسر ، فأرادوا أن يشهدوا على أنهم هؤلاء الذين يعرفهم جميع المؤمنين بتبشيرهم .

---

(١) متى ١٠ : ١٩

(٢) فمتى يقول « كتاب ميلاد يسوع المسيح » ١ : ١ ومرقس يقول « أبدأ إنجيل يسوع » ١ : ١ ولوقا يقول « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة ... رأيت أنا أيضا ... أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس » لوقا ١ : ١ ، ٣ ، ٤

كما أنهم أرادوا أن يثبتوا بشواهد واضحة أنهم يبشرون بالدين الصحيح (١).

وقد قلت: إن كل حوارى اتخذ الطريقة التى يراها صالحة فى نظره ليثبت المدعوين على الدين، وليبشر بسيرة السيد المسيح — عليه السلام وإلى هذين الهدفين يقول بولس: الذى جعلت أنا له كارزا ورسولا ومعلما للأمم، لهذا السبب أحتمل هذه الأمور أيضا لكننى لست أخجل لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم(٢).

فقوله: الذى جعلت أنا له كارزا ... إلخ يدل على أنه بهذه الكلمات يطالب بكلا الصفتين. صفة الحوارى، وصفة المعلم.

كما يتحدث عن السلطة التى تسمح له بتبكيت الجميع قائلا: «لذلك وإن كان لى بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق» (٣).

ويلاحظ فى هذه الفقرة أنه لو كان بولس قد تلقى من الله بوصفه نبيا، لما أمكنه تغيير أوامر الله إلى توسلات.

وبذلك يتبين لنا أنه يتحدث عن الحرية التى كانت لديه فى التبكيت بوصفه معلما. لا بوصفه نبيا.

ومن النصوص التى تدل أيضا على أن كل حوارى قد اختار لنفسه طريقاً شخصيا يسلكه فى التبشير بالدين المسيحى قول بولس: «واعتنيت أن لا أبشر بالإنجيل فى موضع دعى فيه اسم المسيح لئلا أبنى على أساس غيرى» (٤).

---

(١) سبينوزا ص ٣٣٣

(٢) تيموثاوس الثانية ١ : ١١ ، ١٢

(٣) فليمون : ٨

(٤) رومية ١٥ : ٢٠ ترجمة الكاثوليك

فمن المقطع به أنه لو كان جميع الحواريين قد اتبعوا نفس الطريق فى الدعوة، وأقاموا جميعاً دين المسيح على نفس الأساس لما استطاع بولس أن يصف الأساس الذى يرتكز عليه حوارى آخر بأنه « أساس غيره » لأن جميع الحواريين يكون لهم عندئذ نفس الأساس .

ولكن لما كان بولس قد وصفه بأنه أساس غيره . فنستنتج بالضرورة أن كل حوارى كان يقيم الدين على أساس مختلف ، وأن الحواريين عندما كانوا يؤدون رسالتهم بوصفهم معلمين كانوا فى نفس موقف المعلمين الآخرين يتبع كل منهم منهجا خاصا به .

ولاشك فى أن هذا الإختلاف فى الأسس التى يقوم عليها الحواريون فى تبشيرهم ، كان سبباً لكثير من المنازعات والإنقسامات التى مازالت تعانى منها الكنيسة منذ زمن الحواريين « وستظل تعانى منها إلى الأبد ، حتى يأتى اليوم الذى ينفصل فيه الدين عن التأملات الفلسفية ، ويقتصر على العقائد الشديدة اليسر التى دعا إليها المسيح — عليه السلام — ونزل بها الوحى عليه من عند الله سبحانه .

أما الحواريون فلم يستطيعوا ذلك لأن الناس كانوا يجهلون الإنجيل ولكم يسعد عصرنا لو أمكننا أن نرى الدين وقد تحرر كل ما فيه من كل خرافة [1] .

---

(١) سبينوزا ص ٣٤ ، ٣٥ بتصرف

الحواريون فى القرآن الكريم

لقد شهد القرآن الكريم بأن الحواريين قوم صالحون مؤمنون بالله — تعالى — وبرسوله المسيح — عليه السلام — وبكتابه الإنجيل المنزل عليه من عند الله ، ولم يذكر أنهم أنبياء ، أومعصومون ، ولا يدين المسلمون بغير ذلك ، ولا يعتقدون فى حقهم إلا ماقاله الله عنهم فى القرآن الكريم ، فهو المنقول بالتواتر ، وهو المحفوظ من التغيير والتبديل . قال تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصارالله » أى أنصار دينه ورسوله المسيح « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين »[1] لك بالوحدانية ، ولرسولك عيسى بالصدق .

وقال سبحانه « ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله »[2] والمعنى : كونوا أنصار دين الله كما كان الحواريون كذلك حين قال لهم المسيح من أنصارى إلى الله .

وقال تبارك وتعالى « وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون »[3] .

والإيحاء إليهم لايدل على نبوتهم ، فإن المعنى : أوحيت إليهم بواسطة رسولنا عيسى ، ونظيره قوله تعالى « وأوحينا إليهم فعل الخيرات » أى أوحينا إلى الأمم بواسطة أنبيائهم ، والأمم لم يكونوا أنبياء .

---

(١) آل عمران : ٥٢ ، ٥٣ .　(٢) الصف : ١٤ .
(٣) المائدة : ١١١ .

أو المعنى : أوحيت إليهم وحى الهام أو منام ، وذلك يكون لغير الأنبياء كما قال تعالى فى ســـورة القصص « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية » .

فهذه لم تكن نبية . بل ليس فى النساء نبية بإجماع علماء المسلمين . وقد ذكر إجماعهم غير واحد من العلماء منهم أبو بكر بن الطيب ، وأبو يعلى بن أبى الفراء ، وأبو المعالى الجوينى [1] .

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٣٤٣ .

الأناجيل والرسائل هل هي من وحي الله

أو من وضع البشر ؟

تمهيد :

رسالة عيسى الحقيقية :

لقد كان من المعهود أن الله تبارك وتعالى لم يوح إلى أنبيائه أفكاراً فلسفية معقدة لاتتحملها أفهام أممهم الذين بعثوا إليهم . بل بأفكار سهلة للغاية وضعت بحيث تلائم الأحكام السابقة لكل نبي .

والإنجيل كواحد من هذه الكتب المنزلة من عندالله لم يقدم إلا تعاليم سهلة ميسرة يستطيع أن يدركها كل فرد ، فهو لم يستعمل المنهج الإستنباطي الذي يبدأ من بديهيات وتعريفات تتسلسل منها القضايا .

ذلك أن تعاليم المسيح التي جاء بها من عندالله ، والتي اشتمل عليها إنجيله كانت ذات هدفين أساسيين :

الأول: الدعوة إلى التمسك بناموس «توراة» موسى —عليه السلام— وتكميلها ، وإحياء ماأماته اليهود منها كما بينه المسيح في قوله « لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أوالأنبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل»[١] .

الثاني : البشارة بأنه سيأتي بعده رسول[٢] .

---

(١) متى ١٧:٥

(٢) من أراد التعرف على هذا الموضوع بالتفصيل فليرجع إلى كتاب محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن تأليف محمد عزت اسماعيل الطهطاوي مطبعة التقدم بالقاهرة .

هذا عدا مجموعة من الحكم، والأخلاق، وآداب المعاملة، والحث على إكرام الجار، وعلى السلام، والأناة، واللطف، والعفاف، والصلاح، والإيمان.. الخ يقول بولس «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان، وداعة تعفف. ضد أمثال هذه ليس ناموس»[1].

وعن المحبة والمودة بين الناس يقول «وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً»[2].

إذ ليس فى المسيحية الحقيقية هذه الطقوس التى يقوم المسيحيون بأدائها الآن مثل التعميد، وتناول قربان الرب، والأعياد، والصلوات العلنية،

يقول سبينوزا فى رسالته: أما فيما يتعلق بطقوس الدين المسيحى مثل العماد، وتناول قربان الرب، والأعياد، والصلوات العلنية.. فهذا أمر لم يثبت فى رأى على نحو قاطع بعد، فهى بمثابة آيات خارجية للكنيسة الشاملة وليست أمورا توصل إلى السعادة الروحية، أولها فى ذاتها أى طابع مقدس، ولهذا السبب فإن هذه الطقوس وإن لم تكن قد وضعت لمصلحة سياسية، فإنها قد وضعت لصالح المجتمع كله، وبالتالى فإن من يعيش وحده لا يرتبط بهذه الطقوس يمكنه أن يعيش متمتعاً بسعادة الروح[3].

وكذلك حادثة الصلب التى نسج مؤلفوا الأناجيل والرسائل على منوالها

---

(١) غلاطية ٥ : ٢٢، ٢٣

(٢) تسالونيكى الأولى ٤ : ٩

(٣) سبينوزا ص ٢١٣، ٢١٤

الكثير من الكلام لا اساس لها من الصحة ، وإنما وضعها المسيحيون لملء الفراغ الذى عاشوا فيه .

يقول شارل جنيبير : إذا نحن استثنينا بعض الحكم الأخلاقية . . ماذا كان ليبقى لنا من عيسى ؟ إن المنطق يجيب على هذا التساؤل إجابة صريحة لاشيء .

ويقول أيضاً : ولم يكن للأساطير بد من أن تحاول تفسير الوقائع فصنعت منها نسيجاً بالغ التعقيد والغموض اختلط فيها العجب العجاب من الأحداث الخيالية المستحيلة ، وتعذر بعد ذلك استخلاص الحقيقة منه لتضارب النصوص وتباينها ، وإن روايات الإنجيل التى وصلت إلينا ، والتى تتعلق ببعث عيسى لتبدو للمؤرخ الناقد نوعا من الإنشاءات التى لاتنسجم عناصرها[1] .

نستنتج من هذا أن ملة عيسى الحقيقية قد تحولت بعد رفعه ، وبعد ضياع الإنجيل الأصلى إلى نحلة مسيحية وضعها مجموعة من البشر أخذت مما حولها من الطقوس والشعائر مايتفق وهواها ، ودونته هذه المجموعة فى الأناجيل والرسائل زاعمين أنه وحى إلهى أنزل عليهم بعد رفع المسيح — عليه السلام — والوحى منهم براء .

يقول جنيبير : لامجال للشك فى أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على المسيحيين شيئاً فشيئاً حتى أصبحنا نجدها كاملة فى احتفالاتها . . ثم يقول : إذا تأملنا الكنيسة المسيحية فى مقتبل القرن الرابع فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين[2] .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٢، ٦٣

(٢) السابق ص ١٢٦

ثم يقول أيضا : وإذا ماقلنا بأن المسيح صرح للحواريين الإثنىعشر بسلطة مافما لاشك فيه أن هذا الأمر لم يتعد منحهم بعض ماأوتى هو من سلطان فى التبشير بالتوبة ، وبحلول مملكة الله ، ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن فى حاجة إلى ذلك ، وعلى أى حال فإننا عندما ندرس ماقام به هؤلاء الحواريون من أعمال لانجد أنهم فكروا فى إنشاء الكنيسة إذظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى ، وداوموا بكل دقة على شعائره مؤمنين أيضا بأن المستقبل لمملكة الله ، وليس لكنيسة ما[1] .

فظهر مما تقدم أن المسيحية الحالية ليست هى التى نزل بها عيسى — عليه السلام — وأن الأناجيل والرسائل الحالية مقطوعة الصلة تماما بينها وبين الإنجيل الحقيقى .

وسأقوم بتوضيح هذه الحقيقة تحت العنوان التالى — إن شاء الله —

نظرة شاملة فى العهد الجديد

الأناجيل والرسائل

يعتقد المسيحيون أن « العهد الجديد » كتاب مقدس موحى به من عند الله ، وكل ماشتمل عليه من إصحاحات لايجوز التعرض لها نقدا ، أو تشكيكا ، أو إبطالا . إذ يقول قائلهم: إننا نتذرع باليقين الثابت المكين الذى يؤكد لنا أن كتابنا المقدس هو هو ، كما عرفته ربوات من الرجال والنساء مدى أجيال التاريخ ، كتابا موحى به ، يتكلم الله على صفحاته.. كتابا فريدا لايتفوق عليه كتاب ، يحتل مكانة عليا فى حياة الكنيسة ، وفى حياة المسيحيين كأفراد ، هو دستور إيماننا ، ومصدر رجائنا ،

---

(١) السابق ص ١٣٠، ١٣١

ولن يمكن لأية معرفة جديدة ، أو بحث علمى أن ينزع الحق من إعلان هبط علينا من روح الله[1] .

من هذا المنطق العقائدى بدأت الدراسات المسيحية تعمل على توثيق العهد الجديد ، وتثبيته ، ونفى ماعداه من الكتب والرسائل .

وسأعرض مزاعمهم من واقع كتبهم ثم أعمل على تفنيدها والرد عليها:

١ — يقولون : إن الإنجيل كان قد أخذ فى الإنتشار شفوياً بعد صعود المسيح بعشرة أيام فحسب ، وذلك بين سكان أورشليم الذين عاصروا المسيح وعرفوا كل شىء عنه ، دون أن ينهض واحد منهم مهما كان شأنه لمناقضة شىء مما جاء فيه ، وبعد ذلك انتشر الإنجيل فى مدة لاتتجاوز ثلاث سنوات فى كثير من بلاد الشرق والغرب بلغات سكانها ، وكان ذلك ميسورا عليهم ، لأن الله قد أيدهم بعد صعود المسيح بعشرة أيام بموهبة الألسن ، أواللغات ، ومن ثم كانوا يبلغون الإنجيل لكل إنسان باللغة التى كان يتحدث بها ويفهمها[2] .

٢ — وبعد نشر الإنجيل شفوياً فى كثير من بلاد الشرق والغرب أخذ يرسل تباعاً ابتداء من منتصف القرن الأول مكتوبا فى كتب بواسطة أشخاص عرفوا كل شىء عن المسيح . إما فى هيئة سيرة تفصيلية له كما فعل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا . أوفى هيئة شرح لمبادئه وتعاليمه كما فعل بولس ، وبطرس ، ويعقوب ، وغيرهم ، وذلك دون أن يقابل بعضهم ما كتبه على ما كتبه البعض الآخر الأمر الذى يدل على نزاهة الأشخاص المذكورين ، وعدم وجود أى تواطؤ بينهم ، وقيام كل منهم بكتابة الإنجيل بالإستقلال عن صاحبه .

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٣، ٤
(٢) أعمال الرسل ٢: ٤ — ٧

٣ — أن كتبة الإنجيل لم يكتبوه على أحجار أوعظام (حتى كان يجوز الظن أن بعض هذه المواد قد تآكل ، أو ضاع) بل كتبوه فى كتب من ورق البردى ، وجلد الغزال بكل دقة وعناية كما جاء فى يوحنا أصحاح ٢٠ : ٣٠ ، ٣١ حيث يقول « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم يكتب فى هذا الكتاب ، وأما هذه فقد كتبت ... إلخ .

وقول بولس « كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم » ... (١) .

ثم نسخه الذين أتوا بعدهم على ورق البردى ، وجلد الغزالى أيضا ، الأمر الذى لا يدع مجالا للظن بضياع جزء من الإنجيل ، وكتابة غيره عوضا عنه .

٤ — سلامة الإنجيل من الناحية الأثرية :

وجدت نسخة كاملة من الإنجيل الذى كتبه يوحنا سنة ١٩٢٣ م فى مكان يبعد عن أسيوط من جهة الجنوب بمقدار ٢٨ كيلو متر ، يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٤ م ... وهناك أيضا بقايا نسخة من الأناجيل التى كتبها كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا مع رسائل بولس ، وجزء من سفر الرؤيا يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٠ م ، وجميعها محفوظة بمكتبة ريلاندز بمنشستر .

كما توجد مجموعة شتوبى التى تحتوى على أجزاء من العهدين القديم والجديد يرجع تاريخها إلى سنة ٢٠٠ م ، ومجموعة أرسنيوس (بالفيوم) وهى تحتوى على كثير من أقوال المسيح ، ويرجع تاريخها إلى أوائل القرن الرابع .

---

(١) تيموثاوس الثانية ٣ : ١٦

بالإضافة إلى ست نسخ كاملة من الكتاب المقدس يرجع تاريخها إلى المدة الواقعة بين القرنين الثالث والخامس كما يتضح مما يلى :

١ — النسخة الإخميمية : وهى مكتشفة فى أخميم بالقطر المصرى سنة ١٩٤٥ ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادى .

(٢) نسخة سانت كاترين : وهى مكتشفة بواسطة بعثة أمريكية بمساعدة بعض الأساتذة المصريين ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادى .

٣ — النسخة السينائية : وهى مكتشفة على يد عالم ألمانى فى المدة من سنة ١٨٤٢ إلى سنة ١٨٥٩ م ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع .

٤ — النسخة الفاتيكانية : سميت بهذا الإسم لأنها كانت ملكا للمكتبة الفاتيكان بروما ، وورد ذكرها فى محتويات هذه المكتبة سنة ١٤٧٥م ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادى .

٥ — النسخة الإسكندرانية : عثر عليها فى الإسكندرية ، ثم أرسلت إلى تشارلز الأول ملك إنجلترى سنة ١٦٢٤ م ، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادى .

٦ — النسخة الإفرائيمية : وكانت ملكا لعائلة مديش فى فلورنسا ، ثم نقلت إلى باريس فى القرن السادس عشر حيث أودعت بدار الكتب بها ، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادى [١] .

هذه بعض حججهم التى يزعمون أنها تثبت أن العهد الجديد كتاباً

---

(١) إنجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين من ص٩ إلى ص٢١ باختصار شديد

سماويا موحى به من عند الله ، وهى قليل من كثير مما ذكروه ، ولكنى اقتصر على هذه الأربعة لأنها — فى نظرهم — أقوى وأثبت الحجج ، وسأقوم بالرد عليهم مبينا حقيقة كتابهم التى يعتقدون أنه مقدس فأقول:

إن الكتاب الذى يجب الخضوع له ، والإئتمار بأوامره ، والإنتهاء عن نواهيه . لابد أن يكون سالما من كل شك ، بعيدا عن كل ريبة ، مؤيدا بالأدلة والبراهين التى تقطع ألسنة المعترضين ، وتسد أفواه القائمين ضده ، وإلا فلا يصلح لأن يكون دستورا محترماً ، وقانونا موقرا بين تابعيه ، ومن حولهم من الدول والأمم .

هذا من جهة قوته فى نفسه .

أما من جهة علاقته بالبشر وإسناده إليهم . فإنه لايكفى فى إثباته إسناده إلى شخص . بل لابد أن يثبت ذلك الكتاب بسند متصل فى جميع طبقاته ، متواتر فى عامة مراتبه بحيث يكون قد رواه الجم الغفير عن الجم الغفير الذى يستحيل تواطؤهم على الكذب بلا تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان . وبأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة مختلفة الأمكنة ، خالية من الأغراض والعلة والجهل .

والمعروف أن أساس كل دين هو كتابه السماوى ، والدين الذى لا كتاب له لا أساس له . فالإنجيل الذى نزل من عند الله تعالى على سيدنا عيسى — عليه السلام — فقد ، كما أن ثقة بعض علماء المسيحية بالإنجيل الموجود الآن هى كثقة المتمسك بخيط العنكبوت فى عدم السقوط إلى الهاوية ، واعترفت بذلك الكنيسة الكاثوليكية فى كتابها المدعو (إنجيل ربنا يسوع المسيح وأعمال الرسل) ط بيروت سنة ١٩٢٧ م بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، إذ يقول فى الصفحة الثامنة السطر الأول والثانى من الكتاب بخصوص الكتب المقدسة ما يأتى : « قلنا إنها (أى

الكتب المقدسة) أحد أركان الإيمان وأمتنها لكنها ليست أساسه الوحيد » .

هذا هو اعتراف أكبر كنيسة تاريخية فى العالم المسيحى ، ومنه يظهر بأن أساس دينهم واه ، إذ أنه ليس مربوطا بكتاب إلهى ، وإنما بكتب بشرية وضعية ، وضعها رجال الكنيسة فى الأزمنة الأولى ، ووضعوا شروطا الزامية الزموا بها المسيحيين أن يؤمنوا ويعترفوا بكتاب إسمه (الإنجيل) دون أن يروه ، أو يلمسوه كما هو الحال فى الكنيسة الكاثوليكية إذ أنها تحرم على الشعب أن يقرأ الكتاب المقدس .

وقد صرح بذلك أحد مشاهير العلماء الذين نبغوا فى النصرانية وهو القديس « أوغسطينوس » إذ قال فى الكتاب المتقدم ذكره صفحة ١٧ ، ١٨ سطر ١٣ وسطر أول من الصفحة ١٨ ما يأتى : « إنى لم أكن لأومن بالإنجيل لو لم تلزمنى به الكنيسة الكاثوليكية » (١) .

وقد قال « إكهارن » : إن الناس الذين لم يكن لهم استعداد للتحقيق اشتغلوا من وقت ظهور هذه الأناجيل بالزيادة والنقصان ، وتبديل لفظ بمرادف له ، ولا تعجب فيه لأن الناس كانت عادتهم من وقت وجود التاريخ العيسوى أنهم كانوا يبدلون عبارات الوعظ ، والحالات المسيحية التى كانت عندهم على حسب علمهم ، وهذا القانون الذى أجراه أهل الطبقة الأولى كان جارياً فى الطبقة الثانية والثالثة ، وهذه العادة كانت فى القرن الثانى مشهورة بحيث كان مخالف الدين المسيحى واقفا عليها يعترض سلسوس على المسيحيين أنهم بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات ، أو أربع مرات . بل أزيد منها تبديلا كأن مضامينها بدلت اهـ كلام إكهارن .

---

(١) الأقوال الجلية فى بطلان كتب اليهودية والنصرانية من ص٩ إلى ص ١٢ بتصرف كثير

تعليق نورتن :

وقد علق نورتن — الذى كان حاميا للإنجيل — على كلام اكهارن فقال : لايظن أحد أن هذا رأى اكهارن فقط . لأن كتابا من الكتب لم يقبل فى الجر من قبولا زائد من كتابه ، ويوافق رأى كثير من العلماء المتأخرين من الجرمن رأيه فى أمر الأناجيل ، وكذا فى الأمور التى يلزم منها الإلزام على صدق الأناجيل .

ومع أن نورتن كان حاميا للأناجيل إلا أنه اعترف بأن سبعة مواضع من هذه الأناجيل المعتمدة محرفة الحاقية ليست من كلام الإنجيليين [1] .

تعليق الشيخ رحمة الله الهندى :

١ — أن الأنجيل الأصلى قد فقد .

٢ — أنه يوجد فى هذه الأناجيل الروايات الصادقة والكاذبة .

٣ — أنه وقع فيها التحريف أيضا ، وكان سلسوس من علماء الوثنيين يصيح فى القرن الثانى : أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات ، أو اربع مرات ، أو أزيد من هـــذا تبديلا كأن مضامينها أيضا بدلت .

(٤) أنه لاتوجد إشارة إلى هذه الأناجيل الأربعة قبل آخر القرن الثانى أو أبتداء القرن الثالث [2] .

---

(١) أظهار الحق جـ ١ ص ١١١ ، ١١٣

(٢) السابق جـ١ ص ١١٢

على أننا نجد أن لغة الحدس والتخمين، والترجيح والظن ، ترد كثيراً على لسان المؤلفين المسيحيين لتاريخ العهد الجديد فنرى حبيب سعيد يقول : إن أتباع المسيح لم يفكروا فى تدوين قصة مكتوبة عن سيدهم ، وتسليمها للأجيال اللاحقة ، ونظرا لعدم وجود أدلة مباشرة نسترشد بها من هذه الناحية ، فإننا مضطرون إلى أن نلجأ إلى الحدس والتخمين .

ثم يقول : ومن المرجح جدا أن بعض تلاميذ يسوع الأولين قد جمعوا لاستعمالهم الخاص مجموعات من أقوال يسوع والحوادث التى رأوها ذات شأن خطير ... ثم يقول : كذلك نظن أن المعلمين لم يروه ملائما أن يركنوا إلى ذاكرتهم فى استذكار الحوادث والقصص كتابة ليستخدموها فى تعليمهم ونشر دعايتهم [١]

على أن أسلوب الظن والتخمين والترجيح لا يصلح لتدوين كتاب تاريخى تستقى منه حوادث ثابتة ، فكيف بكتاب مقدس تبنى على نصوصه قواعد دينية ، ومعتقدات تتخذ مذهبا لجميع الناس فى مختلف الأزمنة والأمكنة .

وإنجيل لوقا نفسه ذكر فى مقدمته مايفيد الظن والتخمين إذ يقول : « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ... رأيت أنا أيضا ... أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس [٢] .

ويعلق حبيب سعيد على هذا النص فيقول : ولسنا نعرف متى شرع فى هذه المجموعات المكتوبة ، ولا كيف كتبت لأنه لم يبق شىء من تلك

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢١٥ ، ٢١٦

(٢) إنجيل لوقا ١ : ١ ، ٣ ، ٤

المجموعات الأولى عن أقوال يسوع وأفعاله (على الأقل) فى وضع معين [١] .

ولم يكن يخطر ببال واحد من كتاب الاناجيل أن ما كتبه عن المسيح سيكون كتاب المسيحية الذى يتناقله الناس فى كل العصور ، لأنه لم يكن يكتب تحت إرشاد إلهى ، وإنما كان الواحد منهم يكتب من تلقاء نفسه حسب مقتضيات الظروف كما يصرح بذلك النص السابق الذى صدر به لوقا مقدمة إنجيله فهو يبين أنها رسالة من صديق إلى صديق وهذا الصديق مواطن رومانى يدعى ثاوفيلس ، ولا علاقة لها بالوحى الإلهى .

وإنجيل مرقس كتب لجماعة من الرومان بصفه خاصة .

وأما إنجيل متى فقد كتب لليهود خاصة .

أما إنجيل يوحنا فقد كتب للعالم اليونانى المثقف بطريقة مقبولة لديه ، كما توسع أيضا فى تعليمه عن عودة المسيح بالروح ، وذلك لإزالة أسباب الشك والحيرة التى ساورت قلوب المؤمنين المسيحيين من جراء تأخير عودة المسيح بالجسد كما كانوا يتوقعون [٢] .

وبذلك نرى أن كل إنجيل كتب لغرض خاص ، ولجماعة خاصة ، ولم تكن لهم صلة بالوحى الإلهى ، أو بنسخة أصلية عن السيد المسيح يرجعون إليها فى كتاباتهم ، من هنا نسب إنجيل كل واحد إليه ، ولم ينسب إلى المسيح ، أو إلى الله . بأن يقال : إنجيل الله . كما نرى ذلك فى القرآن

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢١٥

(٢) كتاب انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين ص ١٣ ، وكتاب المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢١٩ ، ٢٢٠

الكريم الذى بين أيدينا، فهو ليس كتاب محمد — ﷺ — أو كتاب أحد من صحابته — رضوان الله عليهم أجمعين — وإنما هو كتاب الله.

كما قال تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبدالله مخلصا له الدين»[1].

معالم الإنجيل الحقيقى فى القرآن الكريم:

لقد ذكر القرآن الكريم بالنص الصريح بعض الشواهد من الإنجيل تذكر قوما تركوا الإنجيل الحقيقى وراءهم ظهريا، وتدعوهم فى الوقت نفسه إلى إعادة النظر فيما بين أيديهم من أناجيل، فإن كانت تحمل بين طياتها هذه الشواهد وتلك الدلائل فهى إنجيل المسيح الذى ينبغى اتباعه، وإلا فقد أهدر إنجيل المسيح، ونسى بين طيات الزمن وضروب الإضطهاد، فمما أعاده على مسامعهم من هذه المعالم ما يأتى:

١ — ثبوت اسم محمد — ﷺ —، وثبوت أوصافه فى الإنجيل الحقيقى فضلا عن ثبوته فى التوراة، وهو ثابت بالكتابة فى هذين الكتابين، مع بيان وظيفته، وبعض فقرات من رسالته قال تعالى «الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون»[2].

٢ — ذكر القرآن نصا لعقد الشراء المبرم بين الله وبين عباده

---

(١) الزمر: ١، ٢ (٢) الأعراف: ١٥٨

المؤمنين من المجاهدين ، ووعدهم بالثمن وعداً قاطعاً ، وأن ذلك العقد ثابت فى الإنجيل ، ومن قبله فى التوراة ، ثم استمر تثبيته فى القرآن كذلك بكل معالمه قال تعالى : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (١) .

٣ — كشف القرآن الكريم بأن أوصاف أتباع محمد — ﷺ — ذكرت فى الإنجيل بأوصاف غير التى ذكرت فى التوراة ، وأن كلا الوصفين ثابت فى الكتابين السماويين فقال سبحانه « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما »(٢) .

٤ — ينص القرآن على أن عيسى — عليه السلام — خاطب بنى إسرائيل بأنه رسول الله إليهم ، ومبشرا برسول يأتى من بعده إسمه أحمد قال تعالى « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٣) .

هذا وغيره ذكره القرآن كمعالم ثابتة تشير إلى أن الإنجيل التى توجد فيه هذه المعانى التى كشف عنها هو إنجيل المسيح — عليه السلام — وهو

---

(١) التوبة : ١١١ — الفتح : ٢٩

(٣) الصف : ٦

إنجيل السماء الذى ينطوى على الهدى والنور كما قال تعالى «وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور الآية [١]»

فلما طمست هذه المعالم بطمس الإنجيل الحقيقى نسى النصارى قسطهم من الكتاب ، ولما تمسكوا بتلابيب كتب وضعها البشر لهم أورثهم الله عداوة فيما بينهم ، وبغضاء إلى يوم القيامة قال تعالى : «ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون» [٢]

حتى جاءهم الكتاب الكامل الذى نزل على محمد — ﷺ — ، الذى تكفل الله بحفظه من كل خلط وخلل فكشف القناع عن حقيقة الأمر فى الإنجيل من أمور أخفوها تجل عن الحصر والبيان قال تعالى : «ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ..» [٣]

ولأن القرآن والإنجيل يخرجان من مشكاة واحدة جاء القرآن هدى ونور ، كما أن الإنجيل كان هدى ونور قال سبحانه مخاطبا أهل الكتاب «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» [٤]

ويلوح من سياق القرآن الكريم أنه كان هناك فى عصر نزوله بقية باقية من الموحدين على دين عيسى — عليه السلام — يعرفون ذلك الإنجيل السماوى وإن طمسه التعسف والإضطهاد ، لذلك أحال القرآن

---

(١) المائدة : ٤٦ .
(٢) المائدة : ١٤ .
(٣) المائدة : ١٥ .
(٤) المائدة : ١٥ ، ١٦ .

أتباع المسيح إلى الرجوع إليه ، وليحكموا بما فيه ، ومن لم يحكم بما فيه فهو من الخارجين عن الصراط المستقيم قال سبحانه : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »(١)

كما أشار القرآن إلى قلة هذه الفئة الباقية من طائفة النصارى ، وأنها لو تمسكت بالإنجيل المنزل من عند الله — سبحانه — لأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، ولأغدق عليهم من فضله بما لم يكن فى الحسبان قال تعالى « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون »(٢) .

والقرآن مطمئن كل الإطمئنان إلى إحالة النصارى إلى الحكم بما فى كتابهم ، وذلك لأن فيه توجيه من المسيح — عليه السلام لبنى إسرائيل باتباع النبى الذى يعقبه واسمه (أحمد) إذن فهو يهديهم السبيل إلى أحقية الإسلام الذى يدعو إليه أحمد — ﷺ — ومن ذلك كله سيرجعون إلى القرآن رجوع المستضيء بنور الإنجيل إلى ظلال الدين الحق . دين الإسلام. وإلى دستوره المصون من العبث والخلل وهو القرآن الكريم، وسوف يجدون فيه الدواء لكل داء . قال تعالى « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »(٣) .

القرآن ينفى مزاعم زعمها النصارى فى الإنجيل :

وكما أثبت القرآن بعض المعانى الواردة فى الإنجيل لتكون إشارات من القرآن إلى الإنجيل الحق . نفى عن الإنجيل أن تكون فيه مزاعم

(١) المائدة : ٤٧ . (٢) المائدة : ٦٦ .
(٣) يونس : ٥٧ .

وهى طقات زعموا أن الإنجيل جاء بها ودعا إليها وما هى من الإنجيل.
فمن هذه المزاعم :

١ — أن الإله ثلاثة ، وأن الله ثالث ثلاثة فأبطل الله هذا الزعم الباطل ناهيا أهل الكتاب من النصارى عن ذلك الإنحراف المؤدى بأهله إلى الهاوية . داعيا إياهم إلى التوحيد الخالص قال تعالى « ... ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد ... الآية »[1] .

٢ — أن المسيح ابن الله ، وأن ابن الله إله ، فحكموا بأن الله هو المسيح ابن مريم ، فحكم القرآن بكفرهم قال تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ... »[2] .

كما أرجع القرآن القول بأن المسيح ابن الله إلى العقائد الوثنية الكافرة فى الأمم السابقة فقال سبحانه «... وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون »[3] .

٤ — أن المسيح قتل على الصليب ، وأثبتوا ذلك فى إنجيلهم ، فنفى القرآن قتله وصلبه ، وأثبت له النجاة من كيد الأعداء ، ورفعه الله إليه من بينهم قال تعالى « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الآية »[4] .

إلى غير ذلك مما قصده القرآن من تصحيح للمزاعم ، وتدليل على فساد كتابهم ، وإحقاق كتاب المسيح المراد إثباته بالقرآن الكريم .

---

(١) النساء . ١٧١ (٢) المائدة: ٧٢
(٣) التوبة . ٣٠ (٤) النساء : ١٥٧

الفصل الثاني

أثر العقائد الوثنية فى المسيحية الحالية

فى هذا الفصل سأعقد مقارنة بين الأسس التى تقوم عليها المسيحية الحالية — سواء كان ذلك فى أصل العقيدة، أو فى الطقوس والشعائر التى يؤديها معتنقوها — وبين ما يقابلها فى النحل السابقة عليها .

تمهيـــد :

إن من يطالع كتب العقيدة المسيحية يجد أنها بما احتوت عليه من عقائد عن الإله، أو طقوس وشعائر، أو أعياد. كانت موجودة من قبل فى العالم الوثنى بأشكالها وأسسها وترتيباتها من قرون مضت قبل ظهور المسيح — عليه السلام — .

وإذا تبين للنصارى أن المسيح نفسه ليست له علاقة ما بهذه الأشياء ألا يكون هذا الوقت هو الوقت المناسب لأن يصحح معتنقوا دينه الحقيقيون اعتقادهم، ويواجهوا الحقائق الدينية وجها لوجه مع الآخرين الذين هم ليسوا على دينهم .

إن مما لاشك فيه أن حب عيسى — عليه السلام — هو الذى حدا بالمسيحيين إلى التعلق بشدة بتعاليم الكنيسة، إلا أنهم إذا بحثوا بحثا شريفاً، وثبت لهم بالدليل القاطع أن عقيدتهم الدينية التى يؤمنون بها لاتتفق وما جاء به عيسى — عليه السلام —، بل تجرده تلك العقائد من الجلال والعظمة اللتين يملكهما — بحق — ألا يجب عليهم إذا ثبت لهم ذلك أن ينظروا فى تلك العقائد ولو من أجل الإجلال والإحترام لشخص المسيح — عليه السلام — .

إن المسلمين ليسوا أقل حبا من المسيحيين لعيسى — عليه السلام — لأن القرآن يأمرهم أن يؤمنوا به وبرسالته كإيمانهم بمحمد — ﷺ — وبرسالته ، وكإيمانهم بجميع الأنبياء السابقين من آدم إلى خاتم النبيين .

جاء ذلك فى قول الله سبحانه « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(١) .

وهو أمر للمؤمنين بمحمد — ﷺ — أى لا تكن دعوتكم إلى شيء خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية ، بل انظروا إلى جهة الجمع والإتفاق ، وادعوا إلى أصل الدين وروحه الذى لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين ، مع الإسلام لرب العالمين ، لا نعبد إلا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله(٢) .

لقد كان الوثنيون يفرضون على معبوداتهم لكى يكونوا آلهة شروطاً عامة لا بد أن تتحقق فيهم وهى كما يقول « إدوارد كار بنتر » :

١ — ولدوا من عذراء .

٢ — ولدوا فى كهف أو غرفة تحت الأرض .

٣ — عاشوا فى شقاء من أجل البشر .

٤ — سموا بهذه الأسماء : جالب النور — الشافى — الوسيط أو الشفيع — المخلص — المنجى .

٥ — قهرتهم قوات الظلام .

---

(١) البقرة : ١٣٦ (٢) تفسير المنار ج ١ ص ٣٩٧

٦ — نزلوا إلى جهنم أو الى الأرض السفلى وزاروها .

٧ — قاموا ثانيا من الموت ، وأصبحوا موصلى البشر إلى الجنة .

٨ — أنشأوا جمعية من المقدسين والكنائس التى يدخلها التلاميذ بطريق المعمودية .

٩ — تقام لهم أعياد لحفظ ذكراهم تؤكل فيها القرابين المقدسة .

١٠ — ولدوا فى يوم عيد الميلاد المسيحى، أو يوم قريب منه جداً .

١١ — يضاف إلى ذلك أن يكون الإله من بيت ملكى ، إلا أن ولادته يجب أن تكون محوطة بذلة وصغار وتواضع [١] .

وقد اخترت من بين آلهة الوثنيين بوذا للمقارنة بينه وبين عيسى — عليه السلام — حيث إن تاريخ حياتيهما أقرب مشابهة من تاريخ حياة أى إلهين آخرين .

أولا مقارنة بين الإله عند البوذيين ، والإله عند النصارى :

بوذا	عيسى — عليه السلام —
١ — ولد بوذا من العذراء مايا التى حملت فيه بدون جماع.	١ — ولد عيسى من العذراء مريم والتى ولدته بدون جماع [٢] .
٢ — قد سجل أن تجسد بوذا نتج من نزول القوة الإلهية المسماة بالروح القدس ، على العذراء مايا .	٢ — قد سجل أن تجسد عيسى نتج من نزول القوة الإلهية المسماة « بالروح القدس » على العذراء مريم .

(١) ينابيع المسيحية ص ٨٦ ، ٨٧ ، ١٤٩ .

(٢) المسلمون جميعا يعتقدون أن عيسى — عليه السلام — ولد من أم عذراء ، ولكنهم لا يقولون إن هذه الولادة العذرية تجعله إلها .

بوذا	عيسى — عليه السلام
٣ — عندما نزل بوذا من إقليم الأرواح ودخل فى جسم العذراء مايا اتخذ رحمها منظر بلور شفاف رائق وظهر بوذا فيه جميلا كزهرة	٣ — عندما نزل عيسى من مقعده السماوى ودخل فى جسم العذراء مريم اتخذ رحمها منظر بلور شفاف رائق وظهر عيسى فيه جميلا كزهرة
٤ — أعلن ميلاد بوذا فى السماء بنجم رؤى مشرقا فى السماء ويقال له النجم البوذى .	٤ — أعلن ميلاد عيسى فى السماء (بنجمه) الذى روى مشرقا فى السماء ويقال له النجم المسيحى .
٥ — قيل إن ابن العذراء مايا التى نزل عليها الروح القدس قد ولد فى يوم عيد الميلاد .	٥ — قيل إن ابن العذراء مريم التى نزل عليها الروح القدس قد ولد فى يوم عيد الميلاد .
٦ — قــد أقيمت مظاهرات السرور السماوى عند ولادة بوذا ، وغنت ملائكة السماء والأرض أغانى المديح إلى «المولود المبارك» وقالوا ولد اليوم بوذا على الأرض ليهب الناس السرور والسلام وليبسط النور على الأمكنة المظلمة وليمنح العمى البصر .	٦ — قد أقيمت مظاهر السرور السماوى عند ولادة عيسى وغنت ملائكة السماء والأرض أغانى المديح إلى «المولود المبارك» قائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .
٧ — زار الحكماء بوذا وقد عرفوا فى ذلك الطفل العجيب كل خواص اللاهوتية ولم يمض عليه يوم حتى نودى بإله .	٧ — زار عيسى الحكماء وقد عرفوا فى ذلك الطفل العجيب كل خواص اللاهوتية ولم يمض عليه يوم حتى نودى بإله الآلهة .

بوذا	عيسى — عليه السلام —
٨ — قد أهـــدى للطفل بوذ بجوهرات غالية ومواد ثمينة .	٨ — قد أهدى للطفل عيسى هدايا من الذهب واللبان والمر .
٩ — عندما ولد بوذا تماما كلم أمه وهو طفل وقال لها «إننى أعظم الناس جميعاً .	٩ — عندما كان عيسى فى المهد كلم أمه وقال لها «أنا عيسى بن الله.
١٠ — كان بوذا طفلا خطراً وكانت حياته مهددة بالملك بماسار الذى نصح بإعدام الطفل لأنه كان يخشى أن يتغلب هذا الطفل عليه .	١٠ — كان عيسى طفلا خطراً وكانت حياته مهددة بالملك هيرودس الذى حاول إعدامه لأنه كان يخشى أن يتغلب هـــذا الطفل عليه .
١١ — أدهش بوذا أساتذته عندما أرسل إلى المدرسة وقـــد تفوق على كل أقرانه تفوقاً تاما مع أنه مادرس قط ولم يكن ذلك فى الكتابة فقط بـــل فى الحساب والرياضيات وعلم النفس والتنجيم والهندسة .	١١ — أدهش عيسى أساتذته عند أرسل إلى المدرسة وقد أدهش أستاذه «زاكشيوس» الذى التفت إلى يوسف وقال « قد أتيتمونى بغلام لأعلمه وهو متعلم أكثر من كل معلم » .
١٢ — عندما بلغ بوذا الثانية عشرة قدموه إلى الهيكل فشرح وسأل أسئلة علمية وتفوق على كل مناظريه .	١٢ — عندما بلغ عيسى الثانية عشرة قدموه إلى الهيكل فى بيت المقدس وبينما هو بين الأطباء وعلماء بنى إسرائيل طرح عليهم عدة أسئلة علمية ثم شرحها لهم .

بوذا

١٣ — دخل بوذا هيكلا فقامت كل الأصنام وطرحت نفسها على أقدامه وسجدت له .

١٤ — وجد أن نسب جوتاما بوذا من جهة أبيه « صود هودانا » يتصل بأشخاص كلهم من سلالة ملكية إلى أن يتصل إلى ماتاصورا ماتا أول ملوك العالم وقد وجد كثير من الأسماء والحوادث فى كتاب بوراناز البرهمى إلا أنه لايمكن التوفيق بين نباء وآخر ، فيظهر أن المؤرخين البوذيين قد أدخلوا قبائل واخترعوا أسماء كى يستطيعوا أن يرفعوا « حكيمهم » الموقر ويمنحوه كل شرف البشارة مع إضافتهم له كل صفات الألوهية .

١٥ — عندما شرع بوذا فى أن يتخذ « حياة دينية » ظهر له « مارا » ليجربه .

١٦ — قال مارا لبوذا « لاتتخذ حياة دينية وأنت تصبح فى سبعة أيام أمبراطور العالم » .

عيسى عليه السلام

١٣ — عندما مر عيسى بجوار حاملى الأعلام حنت له تلك الأعلام رؤوسها وسجدت له .

١٤ — وجد أن نسب عيسى من أبيه يوسف يتصل بأشخاص كلهم من سلالة ملكية إلى أن يصل إلى آدم أول ملوك العالم ، وقد وجد كثير من الأسماء والحوادث فى أسفار العبرانيين المنزلة إلا أنه لايمكن التوفيق بين نباء وآخر فيظهر أن المؤرخين المسيحيين قد اخترعوا وأدخلوا أسماء كى يستطيعوا أن يرفعوا « حكيمهم » الموقر ويمنحوه كل شرف البشارة مع إضافتهم كل صفات الألوهية .

١٥ — وعندما شرع عيسى يعلم ويكرز ظهر له الشيطان ليجربه .

١٦ — قال الشيطان لعيسى « إن كنت تسجد لى أمنحك كل ملك الدنيا » .

بوذا	عيسى — عليه السلام —
١٧ — لم يلتفت بوذا إلى كلمات هذا الشيطان وقال له : ابتعد عنى .	١٧ — لم يلتفت عيسى إلى كلمات الشيطان وقال له : إذهب عنى ياشيطان .
١٨ — بعدماترك الشيطان (مارا) بوذا أمطرت السماء زهوراً وروائح لذيذة عطرت الهواء .	١٨ — بعد ماترك الشيطان عيسى أتت الملائكة لتخدمه .
١٩ — صام بوذا مدة طويلة .	١٩ — صام عيسى أربعين يوماً وليلة .
٢٠ — عمد بوذا المخلص ، وكانت روح الله حاضرة عند تعميده بماء المعمودية . إنه ليس بالإله العلى فقط بل وروح القدس أيضا الذى تجسد فى جوتاما بوذا بنزول قوة الله على العذراء مايا .	٢٠ — عمد عيسى بواسطة يوحنا المعمدان فى نهر الأردن وكانت روح الله حاضرة فى ذلك الوقت إنه ليس الإله العلى فقط بل وروح القدس أيضاً الذى تجسد فى عيسى بنزول قوة الله على العذراء مريم .
٢١ — قد ورد أن جوتاما بوذا تغيرت هيئته فى أواخر أيام حياته ، إذ قد نزل عليه نور غزير عندما كان على جبل بنداقا ، وأحاط هذا النور تاج رأسه بدائرة من النور وقيل إن عظمته	٢١ — قد ورد أن عيسى تغيرت هيئته فى أواخر أيام حياته . إذ قد أخذ عيسى بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد إلى جبل عال وتغيرت هيئته أمامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت

بوذا	عيسى عليه السلام
أضاءت ضوءاً مضاعفاً حتى أن جسمه كان مضيئاً كتمثال من الذهب وأضاء كالشمس والقمر حتى اعترف الحضور بأنه ليس ببشر أو مخلوق فان ... إلخ .	ملابسه بيضاء كالنور .
٢٢ — وأتى بوذا بمعجزات عظيمة من أجل صالح البشر وكل الأحاديث الخاصة به مملوءة بأهوال عظيمة وعجائب مدهشة .	٢٢ — وأتى عيسى بمعجزات عظيمة من أجل صالح البشر وكل الأحاديث الخاصة به مملوءة بأهوال عظيمة وعجائب مدهشة .
٢٣ — وينتظر متبعوا بوذا أن يدخلو الجنة بصلواتهم باسمه .	٢٣ — وينتظر متبعوا عيسى أن يدخلوا الجنة بصلواتهم باسمه .
٢٤ — عندما مات بوذا حلت أكفان الجسم من نفسها ، ورفع غطاء التابوت بقوة غير طبيعية فوق قدرة البشر .	٢٤ — عندما مات عيسى حلت حلت أكفان جسمه من نفسها وفتح قبره بقوة غير طبيعية .
٢٥ — صعد بوذا بجسمه إلى السماء عندما أتم رسالته على الأرض .	٢٥ — صعد عيسى بجسمه إلى السماء عندما أتم رسالته على الأرض .
٢٦ — سيأتى بوذا على الأرض ثانية فى آخر الزمان ، وستكون رسالته لإعادة النظام والسعادة على الأرض .	٢٦ — سيأتى عيسى على الأرض ثانية فى آخر الزمان ، وستكون رسالته لإعادة النظام والسعادة على الأرض .

بوذا	عيسى عليه السلام
٢٧ — سيكون بوذا قاضى الأموات .	٢٧ — سيكون عيسى قاضى الأموات .
٢٨ — بوذا هو البداية والنهاية وليس له ابتداء ولا انتهاء وهو الكائن الممجد والواحد الأبدى .	٢٨ — عيسى هو البداية والنهاية وليس له ابتداء ولا انتهاء ، وهو الكائن الممجد والواحد الأبدى .
٢٩ — قال بوذا « دعوا كل الخطايا التى ارتكبت فى هذه الدنيا تسقط على رأسى حتى يخلص العالم » .	٢٩ — عيسى هو المخلص لكل البشر ، وكل الخطايا التى ارتكبت فى هذه الدنيا تسقط على رأسه حتى يخلص العالم .
٣٠ — قال بوذا أخفوا أعمالكم الصالحة ، واعترفوا أمام الناس بخطاياكم .	٣٠ — عرف عيسى الناس أن يخفوا أعمالهم الصالحة ويعترفوا أمام الناس بخطاياهم .
٣١ — يوصف بوذا بأنه شخص غير طبيعى من النور ، وكان يقاومه شخص غير طبيعى من الظلمة وهو مارا الثعبان الشرير .	٣١ — يوصف عيسى بأنه شخص غير طبيعى من النور ـ شمس الحق ـ وكان يقاومه الثعبان القديم الشيطان وهو عدو له .
٣٢ — ماجاء بوذا لينقض بل جاء ليكمل الناموس ، وقد سره أن جعل نفسه كحلقة واحدة فقط فى سلسلة طويلة من المعلمين المتنورين .	٣٢ — قال عيسى « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل » .

بوذا

٣٣ — قابل أناندا حوارى بوذا ذات يوم بعد سير مسافة طويلة المرأة ماتاجى ، وهى امرأة من طبقة كاندا لاس السفلى بجوار بئر فسألها بعضا من الماء فأنبأته عن أصلها المنحط ، وطلبت منه ألا يقترب منها إلا أنه أجاب « إننى لم أسألك يأختى عن أصلك أو عائلتك بل سألتك جرعة ماء فقط لأشربها وبعد ذلك أصبحت إحدى حواريات بوذا .

٣٤ — وبناء على تعاليم بوذا يجب أن تكون كل أفعال الإنسان وأقواله متجهة نحو الشفقة والحب للجيران ،

٣٥ — ذهب بوذا إلى مدينة بنيارس فى أوائل أيام حياته التى كان يعلم فيها وألقى هناك خطابا كان سببا فى إغراء كندانيا واربعة آخرين ليتبعوه ويكونوا حوارييه وفى ذلك الوقت كلما خطب اعتنق دينه كثيرون من الرجال والنساء .

عيسى — عليه السلام —

٣٣ — وصل عيسى ذات يوم بعد سير مسافة طويلة إلى مدينة السامرة ، ولما أن كان قد أضناه التعب فى هذه السياحة الطويلة جلس بجوار بئر وكانت هناك امرأة من السامرة أتت لتستقى الماء. فقال لها عيسى أعطنى لأشرب ، فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب منى أن تشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية ، واليهود لا يعاملون السامريين .

٣٤ — أما « عيسى » فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

٣٥ — ذهب عيسى إلى مدينة كفرناحوم فى أوائل أيام حياته التى كان يعلم فيها وألقى هناك خطابا كان سببا فى إغراء أربعة من الصيادين ليتبعوه ويكونوا حوارييه وفى ذلك الوقت كلما خطب اعتنق دينه كثيرون من الرجال والنساء .

بوذا	عيسى — عليه السلام —
٣٦ — هؤلاء الذين أصبحوا حواريين لبوذا أمروا بأن يتركوا الدنيا ويخلعوها ، وأن يتنازلوا عن كل غنائم وينذروا الفقر .	٣٦ — هؤلاء الذين أصبحوا حواريين لعيسى أمروا بأن يتركوا الدنيا ويخلعوها ، وأن يتنازلوا عن كل غنائم وينذروا الفقر .
٣٧ — جاء فى شريعة بوذا أن الجوع طلبوا منه آية كى يؤمنوا به .	٣٧ — جاء فى شريعة عيسى أن الجموع طلبوا منه آية كى يؤمنوا به .
٣٨ — عندما اقتربت أيام بوذا وقرب أن يحين حينه ويختفى من على الأرض وعرف الأشياء التى ستحصل فى المستقبل قال للتلميذه أناندا « يا أناندا عندما أرتحل لاتظن أن بوذا قد انتهى وأنه لايوجد بوذا فالخطب التى ألقيتها والفرائض التى فرضتها والسنن التى سننتها يجب أن تخلفنى وتنوب عنى حتى تكون لك بوذا .	٣٨ — عندما اقتربت أيام عيسى وقرب أن يحين حينه ويختفى من على الأرض أخبر عن الأشياء التى ستحدث فى المستقبل وقال لحوارييه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر .
٣٩ — جاء فى كتاب الشريعة البوذية ما يأتى : إنفاقنا لثروتنا تعتبر أصعب فضيلة فى العالم ، ومن يهب ثروته فهو كرجل يهب حياته لأننا نحب المال ونتعلق به ، ولكن	٣٩ وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل أملاكك

بوذا

بوذا عندما حركته الشفقة وهب حياته لأجل غيره . فلماذا نفكر فى الغنى الخسيس ؟ .

بهذه الفضيلة المبجلة حصل بوذا على الألوهية عندما تخلى عن كل الشهوات وحصل على المعرفة الإلهية فلماذا لايجب على الرجل العاقل بعد أن يتخلى عن الرغبة فى اللهو وجميع المسرات أن يعمل صالحا مع جميع المخلوقات حتى ولو احتاج فى ذلك إلى تضحية نفسه حتى يصل إلى المعرفة الحقيقية .

عيسى — عليه السلام

وأعطى الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى ، لاتكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون . ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لايفسد سوس ولاصدأ ، وحيث لاينقب سارقون ولايسرقون .

بوذا

٤٠ — كانت غاية بوذا أن يقيم مملكة دينية أى مملكة سماوية .

عيسى — عليه السلام

٤٠ — فى ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات .

بوذا

٤٠ — قال بوذا « أريد الآن أن أدير عجلة الشريعة الفخمة ، وها أنا ذاهب إلى مدينة بنارس من أجل الغاية لأمنح النور لهؤلاء المغمورين بالظلام وأفتح باب الخلد للإنسان.

عيسى — عليه السلام

٤٠ — بعد أن جرب الشيطان عيسى ابتداء فى تشييد دياناته وذهب إلى مدينة كفرناحوم من أجل هذه الغاية « الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيما والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور » .

بوذا

٤٢ — قال بوذ تأكد يا أناند أن كلامي حق ولو سقطت السماء على الأرض واختفى العالم وصار جبل سومرا قطعا وجف المحيط الأعظم .

٤٣ — قال بوذا « ليست هناك عاطفة أفظع من الملاذ الشهوانية ، ولحسن الحظ ليست هناك إلا عاطفة واحدة من مثل هذا القبيل ، ولكن لو كانت هناك عاطفتان من هذا النوع لما استطاع أن يتبع الحق واحد في كل هذا العالم » .

التفتوا عند وقوع بصركم على النساء فإن اجتمعتم بهن فكونوا كأن لم تكونوا حاضرين ، وإن تكلمتم معهن فراقبوا قلوبكم جيداً .

٤٤ — قال بوذا « يجب على العاقل أن يبتعد من الحياة الزوجية كما لو كانت حفرة مملوءة بالنار ، ومن لم يستطع العزوبة يجب عليه أن يبتعد عن الزنى .

عيسى — عليه السلام —

٤٢ — « الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » .

والحق أقول لكم ... السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لايزول » .

٤٣ — قال يسوع « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن . وأنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ويشتهيها فقد زنى بها في قلبه » .

٤٤ — حسن للرجل أن لايمس امرأة ولكن إن لم يضبط نفسه فليتزوج لأن التزوج أصلح من التحرق . ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها .

بوذا	عيسى — عليه السلام —
٤٥ — إن بوذا مقتنع بأنه إذا جنى الإنسان أحزانا أو فشلا أو آلاما يجب أن يكون هو نفسه قد زرع جهلا وخطأ وخطايا وإن لم يكن ذلك قد زرع فى حياته يكون قد زرع فى حياة من تقدمه .	٤٥ — « وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين يامعلم من أخطأ . أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ »
٤٦ — كان بوذا يعرف أفكار غيره من الناس وبتوجيهه عقله إلى أفكار غيره يعرف أفكار المخلوقات .	٤٦ — كان عيسى يعرف أفكار غيره من الناس ، وبتوجيهه عقله إلى أفكار غيره يعرف أفكار كل المخلوقات .
٤٧ — رويت فى كتاب الشرائع البوذية حكاية وهى أن ناسكا بوذياً أعثرته عينه فاقتلعها ورماها .	٤٧ — ورد فى الإنجيل أن عيسى قال « فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وارمها عنك .
٤٨ — عندما قرب أن يصبح بوذا قد يساو كان راكبا على جواد يقال له كانتاكو نثرت الملائكة وغطت طريقه كله بالزهور (١) .	٤٨ — عندما كان عيسى داخلا بيت المقدس راكبا على حمار نثرت الجموع فى طريقه أغصان النخل (١) .

---

(١) هذه المقارنة بين الإلهين وضعها المستر ت . و . دوان ونقلتها من كتاب ينابيع المسيحية من ص ١٥٠ إلى ص ١٦٢ ، وكتاب الديانات القديمة من ص ٥٤ إلى ص ٦٨ وراجعت النصوص المسيحية على الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم .

بعد هذه المقارنة يتضح لنا مدى التشابه القوى بين تعاليم الإثنين بل الأقوال المأثورة ، والآيات ، وتاريخ الحياة ، والفرائض الواردة فى الإنجيل قد قالها بوذا كلمة كلمة من قبل ظهور المسيح — عليه السلام — بنحو خمسماة وستين سنة تقريبا ، وكتب بوذا ليست بسجلات ثابتة ، أو موثوق بصحتها إلا أن كل الأوجه الأصلية متماثلة فى كل مكان .

فكل بطل أو إله عند الأقدمين يعيش نفس المعيشة ويحيا نفس الحياة ، وله نفس الأوجه والأطوار .

إذ يجب أن يولد الإله من عذراء ، ومن بيت ملكى ، إلا أن ولادته يجب أن تكون محوطة بذلة وصغار وتواضع ، وكل هذه الأشياء التى بينتها فى المقارنة توجد مشابهة بين قصة عيسى — عليه السلام — ، وبين باقى الآلهة البشرية [١] .

فعلم بذلك أن المسيحية المحرفة مشتقة من البوذية وغيرها من العقائد الوثنية السابقة عليها [٢] .

---

(١) ينابيع المسيحية ص ١٤٩ والديانات القديمة ص ٥٤ .

(٢) نشأت الديانة البوذية بالهند ، ومنشؤها هو بوذا واسمه سدائتا، واسم أسرته جوتاماً ، أما بوذا فلقب له ومعناه العالم .

ولد بوذا قبل المسيح بنحو ٥٦٠ سنة فى بلدة على حدود نيبال ،وكان من أسرة نبيلة وفيها إمارة ، وكان هو أميرا ، وقد شب مترفا فى النعيم ، وتزوج فى التاسعة عشرة من عمره ، وأقام أمداً فى حياة الزوجية حتى إذا بلغ التاسعة والعشرين هجر زوجته وانصرف إلى الزهد والتأمل ، وخرج هائما فى الأحراش والغابات حتى إذا بلغ السادسة والثلاثين من عمره أحس بأن نوعاً من المعرفة قد أشرق فى نفسه ، وقذف بنور فى قلبه ،=

ثانيا : الأعياد الوثنية ومقارنتها بالأعياد المسيحية :

١ — عيد الميلاد وعيد القيامة المسيحيين .

الإنسان منذ نزوله إلى الأرض متدين ، ومشاعره تخلق فيه دائما حاستى الخوف والأمل إلى درجة لا تعرفها الحيوانات الأخرى ، وهاتان العاطفتان تجعلانه ينحنى ويركع لآلهة من صنع البشر إذا لم يشرق على عقله الآخذ فى التكوين فجر الدين الصحيح .

إن عبادة العناصر المختلفة قد لعبت دوراً هاما فى الأيام الغابرة ، وبعد ذلك غرق العالم فى عبادة النجوم والشمس .

= وصارت تلك الحال التى أخذ نفسه بها مذهبا يجب أن يدعو إليه بقوله وعمله .

وصار له تلاميذ يدعون بدعايته ، وزاد عددهم وانتشر مذهبهم .

ومات بوذا فى الثمانين من عمره ، ولم يكن معنياً بتأليف الكتب ، بل كان معنياً بكثرة الوصايا والإرشاد العملى .

ولكن يأبى الذين جاؤا من بعده إلا أن يحوطوها بشتى الأساطير التى أوحت بها الأوهام فزعموا أن أمه بشرت به فى المنام ، وأن ولاته سبقتها معجزات ، وأن الإله حل فيه ، وأن حياته كلها قد أحيطت بالمعجزات ، وأنه قدم نفسه فداء للخليقة من الخطايا ، وغير ذلك من الأوصاف التى تتوافق مع ما ينحله المسيحيون شخصية المسيح بعد تغيير النصرانية .

من كتاب الديانات القديمة ص ٥٣ ، ٥٤ باختصار شديد .

وهذا الكوكب (الشمس) رأت فيه البشرية أنه منبع الحياة ، وأصل لكل مظاهرها ، وأنه هو المحي والمميت ، والمعيد للأموات الحياة ، ومخرج الزرع ، والمحرك لكل القوى ، وبمعنى أعم هو المانح لكل البركات .

ومن هنا رؤى أن أهل الزمان القديم — وهو الزمن الذى لم تنضج فيه العقول إلى درجة تمكنهم من معرفة الإله الحقيقى — رؤى أنهم ينحنون ويركعون لهذا الكوكب العظيم ، ويتأثرون تأثراً عميقاً بمظاهره المتنوعة التى رأوها جاعلين تلك المظاهر مناسبات لأفراحهم ، وأحزانهم بشكل أعياد متباينة .

فيمتلؤون بالخوف والرعب عندما يجدون أن منبع الحياة قد بدأت حرارته تضمحل ، ونوره ينقص إبان الإعتدال الخريفى كأنه وقع فى قبضة شيطان الظلام .

ويستمر اضمحلال هذا الكوكب إلى أن يصل إلى منتهاه فى يوم معلوم ، وهو يوم الإنقلاب الشتوى ، وهنا يكون الإله (الشمس) قد هبط إلى منتهى الهاوية فى العالم السفلى .

إلا أن التغير يأخذ مجراه ثانية فيظهر الإله الصغير فى الأفق ثم يأخذ فى الصعود كما لو كان قد ولد فى حجرة فى العالم السفلى ، لهذا وضع فى كتبهم الدينية يوم ٢٥ ديسمبر ليكون يوم عيد ميلاد إلههم (الشمس) ، فيعم القوم فرح وسرور عظيمان فى هـــذا العيد ، لأن بعد هذا اليوم لا يتناقص إله النور بل يأخذ فى الإزدياد ، وفى مدهم بحرارة ونور أكثر من كل يوم .

وهكذا يستمر على هذا الإزدياد إلى أن يقف ثانيا فجأة فى اليوم الذى يكون فيه قد استعاد كل خسارته ، فيتساوى الليل والنهار ، وذلك زمن الإعتدال الربيعى ، وهنا يظهر الإله كأنه أعيق عن تقدمه إذ يمنعه شيطان الظلام ولا يسمح له بالتقدم أكثر من ذلك .

وهنا تنشب معركة عظيمة بين الإلهين يخرج منها إله النور منتصراً ، ويهزم الشيطان أمامه ، وهذا اليوم يوم فرح عظيم يوم انتصار الله على قوات الظلام .

ومما يثير الدهشة والعجب أن هذين اليومين — اليوم الذى يلى الإنقلاب الشتوى واليوم الذى يلى الإعتدال الربيعى مباشرة — هما يوم عيد الميلاد ، ويوم عيدالقيامة المسيحيين ، وهماعيدان مسيحيان عظيمان.

والسبب فى جعل هذين العيدين الوثنيين من الأعياد المسيحية العظيمة هوأن عبادة الشمس كانت شائعة فى زمن ظهور المسيح —عليه السلام— فى جميع الممالك ، وجاء عيسى بالدين الصحيح فغرس الشجرة وهى لينة فى تربة وبيلة ، وقامت بنشر الدين أيد غير جديرة بتلك المهمة .

هذه الأيدى العدوانية تمثلت فى شخصية « بولس الرسول » الذى كان أشد الناس عداء للمسيح —عليه السلام— وللمسيحية ، وللمسحيين .

بولس هذا الذى لم يترك فرصة دون أن يشتغل فيها بين الفصائل الضالة ، وكان من حيله أن يتجاهل الناموس (الشريعة) عندما يعمل بين الذين ليس لهم ناموس،أو يظهره عندمايعمل بين من لهم ناموس،كما يقول هو عن نفسه « فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لأربح الذين بلاناموس»[1] .

والمتأمل فى هذه النصوص البولسية يظهر أمامه واضحاً أن ما كان

(١) كورنثوس الأولى ٩ : ٢٠، ٢١

يدعيه بولس من أنه يوحى إليه كان آتيا من مصادر أخرى بعيدة عن المصادر المسيحية الحقيقية .

والبناؤن الذين تلوا بولس فى بناء الكنيسة وجدوا أن الطريقة البولسية هى خير طريقة تحرز النجاح فى نشر الدين الجديد ، وتجعله شائعاً بين الوثنيين ، فاتخذوها سبيلا وساروا عليها حتى فقد دين المسيح — عليه السلام — بعد قرون قليلة كل جماله ، وأصبح ديناً محرفاً منحولا من العقائد الوثنية السابقة عليه ، حتى أن مؤتمر كامبردج لرجال الكنيسة العصريين يصل سنة ١٩١٧م إلى أن كنيسة المسيح الحالية لم يؤسسها عيسى — عليه السلام —[١] .

٢ — عيد ميلاد العذراء :

ويقع عيد ميلاد العذراء فى ٧ سبتمبر ، وهو ذات اليوم الذى يعود فيه (برج السنبلة ، أوالعذراء) إلى الظهور فى الأفق .

أما عن علاقة هذا البرج بالعذراء فهى أن اليونان عندما كانوا يعبدون الإله مترا الذى كان موجوداً فى روما يحيون ميلاد الكواكب بصلاة نصف الليل ، ثم يخرجون بعد ذلك من الحرم صارخين صائحين « هاقد ولدت العذراء والنور سيتزايد » .

وعند ابتداء العصر المسيحى كان البرج الموجود فى شرق الأفق هو «برج السنبلة أوالعذراء» وكان هذا البرج يمثل دائماً بامرأة تمسك حزمة من سنابل الغلال فى يدها ، وقد صور السنبلة أبوزار — الفلكى العربى الشهير — بعذراء وطفل وفى يدها ذات الحزمة .

---

(١) ينابيع المسيحية ص ٧٩—٨٤ بتصرف كثير .

وقد وجدت أيضا صورة الطفل المخلص حورس وأمه العذاء على هامش نتيجة الإسكندرية « بجوار برج السنبلة أو العذراء » .

وقد كشف الجزء الداخلى من قبة معبد دندرة عن خريطة نصف دائرة السماء الشمالى والبروج ، وكان مرسوماً على الهامش بجوار ذات « برج السنبلة أو العذراء » صورة العذراء إيزيس وهى تحمل طفلها المخلص حورس على ذراعيها .

كل هذا يدل على أن المصريين والفلكيين الأقدمين قد اعترفوا بأن هناك رابطة بين السنبلة والعذراء .

ولما كان برج السنبلة يكون فى شرق الأفق عند ولادة الشمس أدى ذلك إلى الإعتقاد بأن ولادة المسيح من عذراء تجعله إلها [١] .

٣ — عيد صعود العذراء :

وهو احتفال الشرف الذى يقام لمعجزة صعود مريم إلى السماء ، ويعتقد المسيحيون أن فى هذا العيد حفظت روح مريم العذراء وجسمها من التلف وتطرق الفساد إليهما ، وقد أخذهما المسيح وملائكته وصعد بهما إلى السماء :

ويقع هذا العيد فى ١٥ أغسطس ، وهو يوم اختفاء (برج السنبلة أو العذراء فى أشعة الشمس) كأنه صعد إلى السماء واختفى عن الأعين البشرية [٢] .

---

(١) السابق ص ٩٥ — ٩٨ باختصار شديد

(٢) السابق ص ٩٤ ، ٩٥

٤ — عيد بشارة العذراء (تحية الملك للعذراء) :

ويقع فى ٢٥ مارس ، وهو اليوم الذى يلى الإعتدال الربيعى ، وعلى ذلك استنتج يوم ٢٥ ديسمبر ليكون يوم الميلاد [١] .

٥ — عيد الطهارة :

وهـــو عيد تطهير العذراء ودخول المسيح الهيكل ويقع فى يوم ٢ فبرايرا ، وذلك مطابق تماما لعيد جونوفيرواتا الذى كان يقع فى نفس هذا الشهر أيام الرومان ، وكانت تقام فيه احتفالات ومواكب شمـــع [٢] .

٦ — عيد ميلاد يوحنا المعمدان (يحيى — عليه السلام —) :

واليوم الذى خصص لميلاد يوحنا المعمدان هو يوم الإعتدال الخريفى ، ويقع يوم ٢٣ يونيو .

فإن كان عيسى ينوب عن الشمس فى صعودها ، وابن خالته يوحنا المعمدان ينوب عنها فى انحدارها لايمكن إذن أن ينتخب يومان لميلادهما خير من هذين .

بعد عيد الميلاد يأخذ ضوء الشمس وحرارتها فى الإزدياد ، وبعد ٢٣ يونيو الذى هو يوم يوحنا المعمدان تأخذ فى التناقص .

وتزداد هذه الملاحظات أهمية عندما تحل الكلمات الآتية محلها من الإعتبار ، تلك الكلمات التى يعزوها واضع إنجيل يوحنا إلى «المعمدان» إذ قال « ينبغى أن ذلك (عيسى) يزيد وأنى أنا أنقص » [٣] .

---

(١) السابق ص ٩٥

(٢) السابق نفس الصفحة

(٣) يوحنا ٣ : ٣١

إلى غير ذلك من الأعياد الكثيرة التى توجد عندهم [١] وما ذكرته من نماذج إنما هو على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، ليتبين لنا أن الكنيسة المسيحية — كما بناها وشيدها قسس القرون الوسطى المظلمة — مدينة بكل شيء إلى العالم الوثنى لا للإسم والعنوان الذى وضعت تحته ، وهى أدلة غزيرة تحيط بالإنسان حتى يصبح مضطرا لأن يقول بحق نفس الكلمات التى قالها رئيس أساقفة يورك وهى : أن الكنيسة كريهة ، تصد وتبعد الناس عنها [٢] .

وصفوة القول أن الدين المسيحى أتى إليه رجال كانوا يتمسكون بعبادة الشمس ، وقد وجدوا أن الفوز كل الفوز فى أن يدمجوا به معظم هذه العبادات الجارية فى دينهم كى يجعلوه دينا محبوبا [٣] .

ثالثا : الشعائر الوثنية ومقارنتها بالشعائر المسيحية .

١ — التعميد :

كان التعميد موجوداً قبل المسيحية بزمن طويل عند الأمم الوثنية ، وقد بينت فى المقارنة بين بوذا وعيسى — عليه السلام — أن بوذا عمد وكانت روح الله حاضرة عند تعميده بماء المعمودية .

كذلك عمد عيسى — عليه السلام — بواسطة يوحنا المعمدان فى نهر الأردن وكانت روح الله حاضرة فى ذلك الوقت [٤] .

---

(١) ومن شاء المزيد عن هذا الموضوع فعليه بكتاب ينابيع المسيحية فى أماكن متعددة ، وكتاب تاريخ الأقباط جـ١ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥

(٢) ينابيع المسيحية ص ١٣١

(٣) السابق ص ٩٥ ، ٩٦

(٤) فى المقارنة رقم ٢٠ بين بوذا وعيسى — عليه السلام —

وتكاد كل الفرق المسيحية تتفق على ضرورة التعميد لكى تمحى خطايا الشخص وينشأ مبرأ من الذنوب .

يقول صاحب كتاب « الأصول والفروع » عن التعميد : فريضة مقدسة يشار اليها بالغسل بالماء باسم الآب والإبن والروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطية بدم يسوع المسيح .

ويستند النصارى فى إقامة هذه الشعيرة إلى ماجاء فى إنجيل متى ما نصه « تقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس وعلموهم جميع ما أوصيتكم به » [١] .

ويماثل العماد بهذه الصورة موت المسيح وقيامته ، لأن الإنسان بتعميده يموت من الخطيئة ، ويقوم بحياة البر الجديدة :

وطريقة التعميد هى رش الماء على الجبهة ، أوغمس أى جزء من الجسم فى الماء ، ويكثر أن يغمس الشخص كله فى الماء المقدس .

ولا بد أن يقوم بهـــذه العملية كاهن ، لأن المسيح منح حق العماد للرسل ، وهؤلاء منحوه للكهنة . ولايقوم غير الكهنة بالتعميد إلا للضرورة وحينئذ يسمى التعميد « تعميد الضرورة » [٢] .

٢ — العشاء الربانى :

وشعيرة العشاء الربانى وثنية من جميع وجوهها .

---

(١) متى ٢٨ : ١٩ ، ٢٠

(٢) تاريخ الأقباط ج١ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ومحاضرات فى النصرانية ص ١٢٦ وينابيع المسيحية ص ١٠٤

ذلك أن هذه الشعيرة تنوب عن احتفال القربان المقدس القديم الذى كان يشاهد من بلاد العجم إلى بيرو ، وفى كل مملكة تعبد الشمس ، ففكرة الخطيئة والتكفير فكرة وثنية قديمة ، وكان الحيوان الذى يضحى به ينوب عن الإله المائت كما قال الرب كرشنة : أنا القربان ، أنا الضحية ، أنا تقدمة السلف .

وكان يعتقد أن الشخص الذى تقدم له التضحية يكون حاضرا فى وقت التضحية ، وأنه يحل فى الضحية فتصبح إلها ، ولحمها الذى يأكله عابدوه يجعلهم جسما واحدا مع الله إذ يدخل لحم الله فى جسم الإنسان فيجعل بينهما اختلاطاً واتحاداً مقدساً .

أخذ النصارى هذا الفعل برمته واعتبروه فريضة رسمها المسيح فى الليلة التى أسلم فيها الجسد .

ويستعمل فى هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر ، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز وقليلا من الخمر على المثال الذى رسمه المسيح تذكاراً لموته فالخبز يشير إلى جسده المكسور ، والخمر إلى دمه المسفوك .

ومن أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمر استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر دمه فيحصل امتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه ، وهذا عين ما كان يحدث فى العقائد السالفة .

ويستند النصارى فى آداء هذه الشعيرة إلى ما جاء فى الإنجيل قوله : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى ، وأخذ الكاس وشكر وأعطاهم قائلا : إشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »[1].

---

(١) متى ٢٥ : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

وقوله « فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير ، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه»[1].

وتعتقد الكنيسة أن سر القربان المقدس يحتوي حقيقة بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم ونفس ولاهوت المسيح ، ومن يأكل من هذا العشاء لايجوع أبدا ، وليس المقصود بهذا الأكل إطعام الجسد . بل إطعام الروح لحياة روحية لأجل النمو في النعمة والإيمان .

ويشير العشاء الرباني أيضا إلى موت المسيح ومجيئه الثاني ، فيكون تذكاراً للماضي والمستقبل[2] .

٣ — تقديس الصليب وحمله :

لم تكن المسيحية هي مصدر الصليب ، ولم تبدأ معرفة الصليب من تاريخ الصلب المسيحي ، والقديس «كلمنت» — الذي عاش في القرن الأول الميلادي — لم يذكر الصليب شعاراً للمسيحية وهو يتحدث عنها .

وقد بدأ اتخاذ الصليب كرمز مقدس للمسيحية في عهد قسطنطين الوثني.

والسبب في ذلك أنه كان قبل دخوله المسيحية يعبد إلها وثنياً يسمى أبولو (الشمس) فاستحسن الإمبراطور قسطنطين نقل الصليب من ديانته السابقة وجعله شعاراً للمسيحية بعد أن اعتنقها ، وزعم أنه رأى الصليب

---

(١) يوحنا ٦ : ٥٣ — ٥٥

(٢) ينابيع المسيحية ص ١٤٤ ، ومحاضرات في النصرانية ص ١٢٧ وتاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٦٨

فى الرؤيا إلا أن مارآه فى الرؤيا لا بد أن يكون قد سبق له أن رآه بعينه فى اليقظة وهو بحالة طبيعية ، لأن الصليب كان علامة الحياة فى الرموز الوثنية .

وقد اكتشف فى إيرلندة صليب على نفس الشكل القائم عند المسيحيين الآن ، وعليه صورة مصلوب ، إلا أن صورة المصلوب كانت صورة أمير فارس لا صورة يسوع الناصرى ، لأن رأس المصلوب كان عليها تاج بارثيانى لا إكليل الشوك ، فدل ذلك على أنه من رجال الديانة المثرية التى أصلها من العجم ، والتى تركت آثاراً كثيرة فى إيرلنـــدة وشيشتر :

فكان قسطنطين — أول الملوك الذين اعتنقوا المسيحية — قد اختار الصليب رمزا لديانته الجديدة ، وكان هذا الإمبراطور متعلقا بديانته السابقة يدل على ذلك خاتمه وعملته فقد حفظ نقش «أبولو» على كل منهما تكريما لهذا الإله الشمس إلى أن مات .

إذاً فاستحسانه لعبادة الشمس وميله لها هما المسئولان عن إتخاذه الصليب رمزاً لديانته ، لا رؤياه التى أدعى أنه رآها[1] ،

وهنا يطرأ سؤال ماذا كان شعار المسيحية قبل اعتناق قسطنطين لها ، وقبل جعله الصليب شعارها .

لقد اتخذت السمكة شعارا قبل دخول الصليب ، وكانت تلك السمكة تمثل عيسى — عليه السلام — ، وقد وجد أن قبور القرون الوسطى كانت تحمل نقش «السمكة» لا نقش «الصليب» ، والإنجيل لا يستطيع أن

---

(١) ينابيع المسيحية ص ١٢٨ ، ١٢٩ وكتاب فى العقائد والأديان ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

يفسر أو أن يقول شيئا عن رمز «السمكة» إلا قوله إن عيسى أكل السمك مراراً .

ولكن كتب الجو المقدسة هي المفسر الحقيقي ، إذ كانت الشمس تمر على برج الحوت أو السمكة في فبراير .

فإذا علم أن عيد الغطاس ، أو التجلي المسيحي يقع في فبراير تبين لنا أن المسيح كان يرمز له بالسمكة كإله الشمس(١) .

اتخذ النصارى الصليب شعاراً مقدساً ووضع كاتبوا الأناجيل نصوصاً له منها قول المسيح «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني»(٢) .

---

(١) لوقا ٩: ٢٣ وظاهر قول لوقا يفيد أن المسيح بعد أن حكى أنه ينبغي أن يذهب إلى أرض أورشليم حذر التلاميذ من اليهود على تقدير هجومهم عليه قائلا : من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه تخلصاً من بطشهم ، ولكن هنا حالة عارضة وهي خشبة الصليب التي أمر المسيح من يتبعه بحملها ، فكيف ينكر نفسه وهي تنادي على عاتقه ، فكان الواجب على لوقا أن يخترع نسيجاً يستتر به هذا الصليب ليصون من يحمله من بطش اليهود .

على أن هذه الجملة لم يذكرها يوحنا ، بل قال «إن كان أحد يخدمني فليتبعني وحيث أكون أنا هناك أيضا يكون خادمي» [يوحنا ١٢: ٢٦] .

فإذا سلمنا بصحة هذه الوصية عن المسيح — عليه السلام — فالأحسن قبول رواية يوحنا ، لأن جملة «فليحمل صليبه» الواردة عند لوقا إنما هي محض افتراء ومجافاة لمنطق الواقع الفارق ص١٢٤ بتصرف كثير .

(٢) لوقا ٩ : ٢٣

وبناء على هذا النص أصبح حمل الصليب — عند النصارى — دليلا على الإستهانة بالحياة ، والإستعداد للموت فى أبشع صوره ، أى صلباً على خشبة كما يفعل بالمجرمين ، كما أنه آداة تذكرهم بالتضحية العظيمة التى قام بها المسيح من أجل البشر .

ومن عجب أن الكنيسة التى تعلن الحرب على الأصنام هى بذاتها تقدس صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب ، وتوصى بتقديسه ! .

فإذا قال المسيحيون : إن الصليب ليس إلا رمزاً ، يرد عليهم بأن العرب فى جاهليتهم قالوا عن عبادتهم للأصنام «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»[1] .

ومع هذا فقد عيبت عليهم عبادتهم للأصنام مع أنهم كانوا فى عهد جاهلية .

٤ — تعظيم الأحد وجعله يوم الراحة الأسبوعية :

كان اليوم المخصص للراحة عند عباد الشمس هو يوم الأحد ، ويسمى فى اللغة الإنجليزية «صنداى»[2] :

---

(١) الزمر : ٣

(٢) صنداى مركبة من كلمتين «صن» ومعناها فى اللغة الإنجليزية «شمس» ، «وداى» ومعناها يوم — أى يوم الشمس — ، وقد جعلوها كلمة واحدة وأطلقوها على يوم الأحد .

وقد جاء فى المعاجم الإنجليزية تحت كلمة «صنداى» إن هذا اليوم (يوم الأحد) سمى «صنداى» لأنه كان اليوم المخصص للراحة عند عباد الشمس . كتاب ينابيع المسيحية هامش ص ١٣٩ لمعرب الكتاب .

ولكى يحترم الإمبراطور قسطنطين الشعور الدينى لعباد الشمس الرومانيين لم يعمل خيراً من أحتفاظه بنفس اليوم ليكون يوم الراحة الدينى عند المسيحيين .

لقد كان اليوم المخصص للراحة عند عيسى — عليه السلام — هو يوم « السبت » كما كان عند اليهودية ، والمعروف أن عيسى — عليه السلام — كان سيداً لليهودية ، ومعلما بين اليهود ، وكان يكره أى خروج على الدين ، أو أى ابتداع فيه ، وهو يود أن تزول السماء والأرض ولا يغير حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الدين « أو تعاليمه (٢) .

كان يوم السبت هو يوم الراحة الدينى لا يوم الأحد الذى كان يوم الراحة فى ديانة « أبولو » الإله الشمس ، فتغيير يوم الراحة من السبت إلى الأحد ليتفق مع عقائد الوثنيين كان بتدخل بولس اليهودى ، أو قسطنطين الوثنى وكلاهما كان عدوا لدوداً للمسيحية .

أما الأول فكان متعصبا ضد المسيحيين فساهم فى إبادتهم ، فلما لم يفلح غير أسلوب هدمه من الخارج بهدم آخر من الداخل ، ونجح فى هدمه فحول المسيحية التى جاء بها المسيح من عند الله إلى نحلة وثنية تستمد شعائرها وطقوسها من الشعائر والطقوس الوثنية .

وأما الثانى فكان اعتناقه للمسيحية لرغبة سياسية أكثر منها عقيدة حقيقية .

فهو وإن كان قد حول المسيحية من عهود الإضطهاد والقتل إلى

---

(١) إشارة إلى قول عيسى — عليه السلام — « فإنى « فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا تزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » متى ٥ : ١٨

عهود الاستقرار والأمن ، لكنه فى نفس الوقت حظى من رجال الكنيسة بالتنازل عن كثير من المبادىء ، والخضوع لسلطة الدولة الرومانية ، فهو تحول سياسى لمصلحة الطرفين . الكنيسة من جانب ، والدولة من جانب آخر .

يقول المؤرخ الأنجليزى «فيشر» فى كتابه تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى : ومع ذلك يبدو أن الغرض الذى هدف إليه قسطنطين بميله إلى جانب المسحيين ظل غير واضح للعيان ، وذلك حتى انتصاره المبين فى وقعة جسر «ملفيان» سنة ٣١٢ م إذبات الإمبراطور يؤمن بالمسيح ، وبإله الشمس القهار ، فحبا المسيحيين بكثير من التسامح ، على حين احتفظ لنفسه بمنصب الكاهن الأعظم ، وهو المنصب الإمبراطورى فى الديانة الرومانية الوثنية .

غاية الأمر أن قسطنطين رأى نفسه مضطراً لأن يساير العامة الذين كان معظمهم مسيحيا ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يستطع أن يسير ضد الدين المألوف عنده ، والذى كان ملتصقاً به التصاقاً تاما ، فحل المشكلة بطريقة سياسية ، فأصدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ م ذلك المرسوم الذى أفسح مكاناً لإله المسيحيين بين آلهه الدولة المعترف بهم ، كما جعل من الديانة المسيحية ديانة مرخصة تتساوى بينها وبين غيرها من الديانات الأخر داخل الإمبراطورية الرومانية

وفى نفس الوقت نقل إلى المسيحية الكنيسة الوثنية بكل تقاليدها وكتب طقوسها ، ونظام عبادتها وأشكالها من جميع الوجوه ، فحولها إلى وثنية خالصة (١) .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جنيبير ص ١٧٢ ، ١٧٣ وينابيع المسيحية ص ١٣٨ ، ١٣٩ وكتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى =

طمس معالم الوثنية بعد استيعاب المسيحية لها .

وبينما كانت الكنيسة المسيحية تستعمل السيف والنار فى تدمير كل أثر لعبادة الشمس واقتلاعه من جذوره كانت فى الوقت نفسه تدخل كل شيء يختص بأيام الوثنيين إلى تعاليمها وتقاليدها كى تجعله دينا جديدا مألوفا .

وجد رؤساء الكنيسة فى تلك الأيام فى عمل شيئين حتى انتصرت المسيحية انتصاراً تاما على الأديان التى كانت موجودة إذ ذاك .

١ ــ أدمجوا كل الدين المألوف لأهل ذلك العصر فى دينهم .

٢ ــ اجتهدوا اجتهاداً عظيما فى أن يعدموا ويحرقوا كل سجلات ومكتبات الوثنيين ، ومن بينها مكتبة الإسكندرية التى أحرقوها ، وقتلوا « هيباتيا » المعلم الأعظم لدين عبادة الشمس ، وذلك بعد موت قسطنطين بخمسين عاما تقريبا ، لكى يطمسوا معالم أصل الدين الأجنبي عن دين عيسى ــ عليه السلام ــ .. (١)

لم يستطع « كوبرنيكوس » أن يقدم خدمة بهذا الخصوص لهذه الكنيسة الوثنية المسيحية التى كان ينتمى إليها أكثر من إدخال نظامه الشمسى عليها بدلا من النظام البطليموسى ، ونظرة بسيطة فى هذا النظام تظهر بكل سهولة أصل معظم الطقوس والفرائض المسيحية ، وتواريخ أعياد الكنيسة كما بينته مبسطا فى هذا الفصل .

= كلمة سواء ص ٢١٥ هذا ويلاحظ أن ماذكرته من الشعائر إنما هو على سبيل المثال لا الحصر ، والإ فهناك شعائر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها

(١) ينابيع المسيحية ص ١٣٠ ، ١٣٤ بتصرف

ولقد كانت هناك رسائل عديدة تبين نظام ديانة مثرا إلا أن كل رسالة من هذه الرسائل قد أعد متها الكنيسة بعناية واهتمام كما يقول « روبرتسون » ومما هو جدير بالملاحظة أن رسالة « فيرميكوس » قد شوهت عند الفقرة الخامسة حيث كان — كما يظهر — يتهم فيها المسيحيين باستعمال العبادة المثرية ، وبهذا الخصوص يقول الأستاذ « موراى » : الأدبيات الجدلية للديانة المسيحية منتصرة فى كل مكان ، وذلك لأن كتب الوثنيين قد دمرت تماماً (١) .

وخلاصة ماسبق أن دين عيسى — عليه السلام — قد مسخ ، وبدل برمته ، وحول إلى دين وثنى بواسطة تلك الأيدى غير الجديرة بالتسمى باسم المسيح .

لنهم احتفظوا باسم عيسى كعنوان على هذه الديانة ، ولقد فعل ذلك من قبل عابدوا « أبولو » عندما أصبح إلههم المألوف بعد « مثرا » فقد عاش دين مثرا قرونا قبل عبادة أبولو ، إلا أن الدينين هما دين واحد له خواص واحدة ، وليس هناك أى إختلاف بينهما إلا فى الإسم فقط ، فناب أبولو عن مثرا فى كل هذا الدين ، وناب عيسى — عليه السلام — عن أبولو فى روما ، وظل الدين واحداً من كل وجوهه (٢) .

والذى أراه أن تمحى هذه الأسرار والفلسفات التى ماعلمها ولاعملها عيسى قط ، بل كانت موجودة فى العالم الوثنى من قبل .

وإذا ماجرد الدين المسيحى من كل ما ألبسه إياه بولس وقسطنطين والآباء المتقدمون فإنه يصبح ديناً مستقيماً لاعوج فيه ، وبالتالى يقودهم إلى اعتناق الإسلام ، والإيمان بتعاليم محمد — عليه الصلاة والسلام.

(١) السابق ص ١٣٤ ، ١٣٥

(٢) السابق ص ١٤٦

وإذا ماجرد عيسى — عليه السلام — من المبالغات التى ذهب فيها المسيحيون كل مذهب فإنه يصبح شخصية جميلة محبوبة كما يصفه القرآن الكريم فى قوله تعالى «قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا، وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا. والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا، ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم»[1].

وهكذا أتى القرآن الكريم آخر وحى الله، ليرشد عن طريق الله ويهدى الناس إلى الصراط المستقيم، فالدين إذا كان قانونا سماوياً يجب أن يأتى من عند الله، ويبنى بواسطته سبحانه لا بواسطة الأيدى البشرية.

(١) مريم: ٣٠ — ٣٦

الفصل الثالث

إصلاح الإسلام للمسيحية الحالية

تمهيد :

جاء عيسى — عليه السلام — بالإنجيل ، وعلم الناس العقيدة الصحيحة عن الله عزوجل — ، عرفهم الفرق بين الله سبحانه وبين البشر، ولم يقل إن الإنسان « مولود سخط وغضب » كما قالت عنه الكنيسة فيما بعد ذلك القول الذى أخذ من العقائد القديمة ، ووضع تحت اسمه عليه السلام ، بل قال لهم إن الإنسان هو ابن الله[1] الذى هو أبونا الذى فى السماء الذى يعفو عن ديوننا كما نعفوا نحن عن مدينينا .

كانت ديانة عيسى — عليه السلام — ديانة محبة ، ولم يكن عليه السلام محباً لله والناس باللسان فقط ، بل كان ذلك حقيقة تتجلى فى كل أعماله كما تتجلى فى خضوع بشر لمولاه ، فمخاطبته لربه بقوله « لتكن لا إرادتى بل إرادتك » [2] لم تكن أقوالا فقط ، بل كانت تدل على

---

(١) ليس المراد البنوة الحقيقية لكونها محالة على الله تعالى ، بل بنوة المحبة والتقريب ، ويؤيد ذلك قول بولس « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » [كولوسى ١ : ١٢ ، ١٣] وقول يوحنا تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب (أى المعلم) يسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة » [رسالة يوحنا الثانية فقرة ٣]

(٢) لوقا ٢٢ : ٤٢ .

الخضوع الفعلى ، ويجب أن يفسرها كل إنسان بهذا التفسير ، ويعمل بها فيطيع أوامر الله جل شأنه .

وبطريقة أخرى . كان الأمر من جانب الله ، والطاعة من جانبه أساس دينه السلس . فهو عليه السلام لم يأت ليهدم الناموس، أو الأنبياء وإنما جاء ليكمل كما قال «لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل »(١) .

وقوله « فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات »(٢) .

وكان ناموسه هو ناموس موسى — عليهما السلام — ، واجتهد فى أن يلقن الناس حب هذا الناموس واحترامه ، وكان يحيل حوارييه على كتاب اليهود لأجل زيادة العلم والمعرفة ، لأن هذه هى الطريقة الوحيدة التى كانت أمامه إذ هو نفسه لم يأت بأى قانون أو ناموس جديد ، إذ كان العمل الدقيق بالناموس هو دين عيسى الوحيد .

أما وجود عدة صلوات مع عدة لعنات ، وعدة خطايا مع عدة معجزات يجمعها مستخفون ، ويضعونها فى الأناجيل فإنها لاتجعل دينه غير ذلك أبدا .

كان عيسى — عليه السلام — يبتغى تأسيس مملكة عمادها الحق والخير والفضيلة ، وكان من الممكن أن تتحقق بغيته لو وجد متسعاً من الوقت أكثر من ذلك ، وعقولا بشرية أكبر وأقدر على المحافظة على ما تركه .

ولكن شاءت إرادة الله أن ترجىء وجود هذه العقول الكبيرة

(١) متى ٥ : ١٧ (٢) السابق ٥ : ١٩

الحولة إلى النبي المقبل ، فقد ترك محمد — ﷺ — للإنسانية فى كل زمان ومكان قواعد ومبادىء على غاية من السعة تمنح شكلا عمليا لأحسن أنواع الاجتماعيات العمرانية .

وليست تعاليم عيسى الأساسية شيئاً آخر غير تعاليم الإسلام التى جاء بها محمد — ﷺ لأن شرائع الأنبياء جميعا تنبع من مشكاة واحدة ومصدر واحد وهو وحى الله إليهم .

فإذا ما قام القرآن الكريم بإزالة الركام الذى جثم على ملة عيسى — عليه السلام — الحقيقية ، والذى أهيل عليها على يد أعداء الداء للمسيحية فإنما يحاول بذلك أن يخرج النصارى من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الحق ، ومن الكفر إلى الإيمان .

وسأوحال فى هذا الفصل — إن شاء الله — أن أوضح موقف القرآن الكريم من المسيح — عليه السلام — وديانته :

المسيح فى القرآن

القرآن الكريم هو وحده الذى تولى الدفاع عن المسيح — عليه السلام — وكشف الشبه عن شخصه الكريم ، ووضعه المقام المحمود الجدير به كإنسان يأخذ مكانه فى الذروة بين الناس قال تعالى « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[1].

وقال سبحانه « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام »[2] :

(١) النساء : ١٧١

(٢) المائدة : ٧٧

إن الأخذ بما يقول القرآن فى المسيح هو الذى يرفع جميع الشبه التى كانت ولاتزال داعية لسوء المقالة فيه عند أعدائه اليهود ، أو باعثة للإضطراب والقلق النفسى عند أتباعه إذ يرونه إنسانا فى شخص إله ، أو إلها فى جسد إنسان . ومن هذه الشبه :

ميلاده من عذراء

كان هذا الميلاد مشكلة تحيرت فى حلها عقول البشر ، لأنه ميلاد غير طبيعى ، وغير جار على مألوف الحياة ، وذلك مما يدير الرؤس نحوه ، ويلفت العقول إليه ، ويفتح للناس طرائق شتى للقول فيه والتقول عليه .

فاليهود لم يعترفوا بهذا الميلاد ولم يقبلوه ، بل اعتبروه ولادة غير شرعية جاءت من اتصال محرم بين مريم ويوسف النجار .

وأشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله سبحانه « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما »[١]

والمراد بالكفر هنا — كما يظهر من القرينة — الكفر بعيسى ، ولذلك عطف عليه بهت أمه وهو قذفها بالفاحشة .

والبهتان هو الكذب الذى يبهت من يقال فيه ، أى يدهشه ويحيره لبعده عنه وغرابته عنده .

ووصف البهتان بالعظيم ، وأى بهتان تبهت به العذراء التقية أعظم من هذا ؟ .

أى فهذا الكفر والبهتان من أسباب ما حل باليهود من غضب الله ولعنته[٢].

---

(١) النساء : ١٥٦ .   (٢) تفسير المنار جـ ٦ ص ١٥ ، ١٦

وأما النصارى فإنهم ذهبوا إلى تأليه عيسى — عليه — وحجتهم فى ذلك أنه قد ولد من غير أب فلابد أن الله أبوه .

جاء فى إنجيل لوقا على لسان جبريل — عليه السلام — عندما بشر مريم بغلامها مانصه « الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله »[١] .

ويقول يس منصور : لو لم يولد المسيح (عيسى) من عذراء لكان مجرد إنسان ... فابن الله الأزلى يليق به فى حالة تأنسه أن يولد ميلاداً عذراويا[٢] .

وأقول : إن حكمة خلق عيسى — عليه السلام — تتضمن أمرين أساسيين :

الأول : ليكون ذلك آية للناس على أن الله تعالى قادر مختار ، يفعل مايشاء كما يشاء لا يعجزه شىء ، ولا تقيد قدرته الأسباب التى جرت بها عادته سبحانه ، فهو تعالى قادر على أن يوجد السبب بدون المسبب ، والمسبب بدون السبب ، فإن الإرتباط بينهما ليس عقليا حتى يقال لا يمكن إيجاد أحدهما بدون الآخر ، بل الإرتباط بينهما عادى يجوز تخلفه ، والقدرة الإلهية صالحة لأن توجد أحدهما بدون الآخر كما حصل فى عيسى — عليه السلام — قال تعالى «وجعلنا ابن مريم وأمه آية »[٣] .

وقال سبحانه «ولنجعله آية»[٤] .

---

(١) لوقا ١ : ٣٥

(٢) بيان الحق ج ٢ ص ١٢٤ نقلا عن كتاب المسيح إنسان أم إله ص ١٨٥

(٣) المؤمنون : ٥٠ (٤) مريم : ٢١

هذه الآية العظيمة لم يفهمها النصارى حق فهمها فزعموا أن وجوده من غير أب دليل على كونه ابنا لله تعالى .

وهذا استدلال فى غاية الفساد ، لأن عيسى — عليه السلام — فى خلقه من غير أب أقل غرابة من الملائكة فقد خلقهم الله سبحانه بلا والد ولا والدة، ومن آدم — عليه السلام — وكذلك سائر أصول الحيوانات خلقهم الله تعالى بلا أب ولا أم ، فإذا لم يكن هؤلاء جميعاً أبناء الله تعالى فكذا الحال فى عيسى — عليه السلام — .

على أنه ورد فى كتابهم المقدس ماهو أشد غرابة من عيسى فى خلقه ، فقد جاء فى الرسالة إلى العبرانيين أن ملكى صادق الكاهن المعاصر لإبراهيم — عليه السلام — كان هكذا «بلاأب بلاأم بلا نسب. لابداءة أيام له ، ولانهاية حياة»[1] .

فهذا الرجل أغرب من المسيح فى خلقه ، لأنه بلاأب ولاأم ، ولابداية ولانهاية لحياته — على زعمهم — ، لكن المسيح — عليه السلام — مولود من مريم ، وله بداية وهى يوم ولادته ، وله نهاية وهى يوم رفعه عندنا، ويوم صلبه عند النصارى .

فإذا لم يكن هذا الكاهن ابناالله مع هذه العجائب الفائقة فكيف يكون عيسى ابنا لله تعالى !

الثانى : أن خلق عيسى — عليه السلام — من أنثى دون ذكر إنما هو إتمام لدورة القدرة الإلهية فى خلق الإنسان .

فالإنسان الأول من أين جاء؟ يقول سبحانه «أولايذكر الإنسان أناخلقناه من قبل ولم يك شيئاً»[2] .

---

(١) عبرانيين ٧ : ٣

(١) مريم : ٦٧

فآدم — عليه السلام — خلق من العدم دون ذكر ولا أنثى ، وحواء خلقت من ذكر دون أنثى ، والإنسان العادى خلق من ذكر وأنثى ، ثم تمت دورة القدرة الإلهية بخلق عيسى الإنسان من أنثى دون ذكر .

فهذه صور ميلاد البشر ، وكل صورة منها تناظر الأخرى فى الدلالة على قدرة الخالق العظيم ، ليس فيها ماهو هين وماهو صعب فى جانب الله — عز وجل — .

وقد أجاب الله سبحانه عن الشبهة التى تمسك بها النصارى فى تأليههم لعيسى بقوله جل شأنه « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »[١] .

نزلت هذه الآية بسبب وفد نجران الذين قدموا على النبى - ﷺ - فقالوا له : ماشأنك تذكر صاحبنا وتسبه . فقال: من هو .

قالوا : عيسى تزعم أنه عبد !

قال : أجل هو عبدالله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول . فغضبوا وقالوا : هل رأيت إنسانا قط جاء من غير أب[٢] .

وفى رواية أنهم قالوا : إن كنت صادقا فأرنا مثله ، فقال لهم النبى - ﷺ -: آدم من كان أبوه . أعجبتم من عيسى ليس له أب ، فآدم — عليه السلام — ليس له أب ولا أم ، فنزلت الآية مؤيدة للرسول — عليه الصلاة والسلام — فيما حاجهم به[٣] :

ومعناها إن شأن عيسى فى خلق الله إياه من غير أب كشأن آدم فى ذلك

---

(١) آل عمران : ٥٩

(٢) أنظر تفسيرى الآلوسى والخطيب عند تفسير الآية .

(٣) أنظر تفسير القرطبي عند تفسير الآية .

فإذا لم يمتنع أن يخلق الله آدم من غير أب بل ومن غير أم أيضاً لم يمتنع أن يخلق عيسى من غير أب من باب أولى.

وإذا لم يكن فى وجود آدم من غير أب وأم من البشر مايستلزم أن يكون إلها ، أوابن إله ، فليس فى وجود عيسى من غير أب بشرى مايستلزم ذلك أيضاً ، فقد أنهارت الشبهة ، ولم يبق لهم متمسك بها فيما زعموه واختلقوه .

على أنه لو كان عيسى الإنسان قد صار ابن الله لولادته من أم دون أب ، فآدم الإنسان الذى وجد دون أب ولاأم يكون هو الله نفسه ، ولكن خلق هذا وذاك لايقاس بشىء فى جانب قدرة الله وعظمته الذى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

وقوله تعالى « خلقه من تراب» جملة مفسرة لحال آدم مشيرة إلى وجه الشبه مفصحة عن كون المشبه به أغرب وأخرق للعـــادة من المشبه ، فيكون ذلك أقطع للخصم وأحسم عادة لشبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه .

قال الراغب : الخلق يستعمل فى إبداع الشىء من غير أصل ولااحتذاء كقوله تعالى «خلق السماوات والأرض » أى أبدعهما بدلالة قوله «بديع السماوات والأرض » .

ويستعمل فى إيجاد الشىء من الشىء كقوله تعالى « خلقكم من نفس واحدة » وقوله « خلق الإنسان من نطفة » .

ويستعمل فى التصوير والإبراز على مقدار معين كقوله تعالى «وإذ تخلق من الطين » اهـ .

وخلق ها هنا من قبيل وإذ تخلق ، فمعنى « خلقه من تراب » صور

قالبه ، « أى جسده » من تراب يعنى بعد أن صار التراب طيناً لازبا متغير الرائحة ، فيوافق قوله تعالى « وبدأ خلق الإنسان من طين» وقوله «إنى خالق بشراً من طين » وقــوله « أأسجد لمن خلقت طينا » وقوله « إناخلقناهم من طين لازب » وقوله « إنى خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون» ، « ثم قال له كن فيكون» أى كن بشراً فكان ، كذلك عيسى قال له : كن من غير أب فكان[1] .

ويدل على أن خلق بمعنى صور قوله تعالى بعد ذلك مرتباً بثم الدالة على التراخى « ثم قال له كن فيكون » إذ هو عبارة عن تصييره بشراً ، وعبر بذلك تصويرا لكمال قدرته تعالى ، وتمثيلا لسرعة حدوث مايريده من غير ريث بأمر الآمر القوى المطاع إذا ورد على المأمور الممتثل القادر على العمل .

والترتيب بثم يدل على طول المدة بين تصويره ونفخ الروح فيه .

قال الراغب : ومعنى كن بعد خلقــه من تراب كن إنساناً حياً ناطقاً ، وهو لم يكن كذلك بل كان دهراً ملقى لاروح فيه ، ثم جعل له الروح ، وقوله « كن » عبارة عن إيجاد الصورة التى بها صارالإنسان إنساناً أ.هـ[2] ،

---

(١) المفردات للراغب الأصفهانى .

(٢) المرجع السابق .

موقف القرآن من معجزات المسيح

استدل النصارى على الإعتقاد بألوهية المسيح بمعجزاته الكثيرة التى صنعها يقول مؤلف كتاب « القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسد المسيح » : نعم يوجد أشخاص آخرون صنعوا معجزات ولكنهم لم يعملوها بقوتهم أو تقواهم بل بقوة الرب وأمره تعالى ... إلى أن قال : وأما الآيات التى عملها المسيح فقد عملها بقوته الشخصية ، وإرادته المطلقة بدون صلاة أو توسل لأبيه [١] .

وقبل أن أدفع هذه الشبهة سأذكر معجزاته فى القرآن الكريم وبعض ماورد منها فى الأناجيل المعتمدة — عندهم — فأقول :

ذكرت معجزاته عليه السلام فى موضعين من القرآن أحدهما قوله تعالى « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبؤكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مومنين » [٢] .

والأخرى فى قوله تعالى « إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ... إلى قوله سبحانه « فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » [٣] .

---

(١) نقلا عن رسالة موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح

(٢) آل عمران : ٤٩

(٣) المائدة : ١١٠ — ١١٥

فيتضح من الآيات الكريمة أن عيسى — عليه السلام — كانت له ست معجزات :

الأولى : أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله أى بإرادته وأمره .

الثانية : إحياؤه الموتى .

الثالثة إبراؤه الأكمه . وهو الذى ولد أعمى .

الرابعة : إبراؤه الأبرص . وهو الذى به البهق المعروف ،

الخامسة : إنباؤه إياهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

السادسة : نزول مائدة من السماء .

ولم يذكر القرآن معجزة بعينها إلا نزول المائدة من السماء ، وفيما وراء ذلك يكتفى بذكر أنواع المعجزات .

أما الأناجيل فقد أفاضت فى ذكر الواقعات الجزئية وسأكتفى بذكر بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

جاء فى الإنجيل « وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا ياسيد إن أردت تقدر أن تطهرنى ، فمد يسوع يده ولمسه قائلا : أريد فاطهر وللوقت طهر برصه »(١) .

وجاء أيضا « ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان فقال لهما يسوع أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ قالا له : نعم ياسيد حينئذ لمس أعينهما قائلا بحسب إيمانكما ليكن لكما فانفتحت أعينهما »(٢) .

---

(١) متى ٨ : ٢ ، ٣

(٢) السابق ٩ : ٢٨ — ٣٠

وجاء فى الإصحاح الرابع عشر من إنجيل متى أنه عليه السلام بارك على خمسة أرغفة وسمكتين فأكل منها خمسة آلاف رجل ماعدا النساء والأولاد ، وبقى اثنتا عشرة قفة مملوءة [١] .

وفى نفس الإصحاح أن المسيح مشى على البحر ولم يغرق فيه يقول : « وفى الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر » [٢] ،

وذكر يوحنا أن المسيح أحيا لعازر بعد أربعة أيام من موته [٣] .

وذكر لوقا أن المسيح — عليه السلام — أحيا ميتا محمولا على النعش [٤] .

هذه بعض معجزات المسيح المذكورة فى الأناجيل ، وأهم معجزاته كلها إحياء لعازر بعد أربعة أيام من موته ، وإحياء الشخص الذى كان محمولا على النعش ، ولم تذكر الأناجيل من معجزة إحياء الموتى إلا هاتين المعجزتين ، وأما الفتاة المذكورة فى الإصحاح التاسع من إنجيل متى فقد قال عنها المسيح « فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة » [٥] .

إلتبس الأمر على النصارى فجعلوا هذه المعجزات ونظيراتها دليلا على ألوهية المسيح . وللرد على ذلك أقول :

إن أعجب من هذه المعجزات حصل لغيره — عليه السلام — فإن كان أحيا ميتين ، فقد أحيا حزقيال جيشا عظيما جداً جداً [٦] .

---

(١) السابق ١٤ : ١٧ — ٢١
(٢) السابق نفس الإصحاح فقرة ٢٥
(٣) يوحنا ١١ : ١٧ — ٤٤
(٤) لوقا ٧ : ١٢ — ١٥
(٥) متى ٩ : ٢٤
(٦) حزقيال ١٣٧ : ١ — ١٠

وأحيا اليشع جثة ألقيت فى قبره بعد موته ، جاء فى سفر الملوك الثانى « وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر اليشع ، فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه[١].

وحصول معجزة الإحياء لمن كان فى البرزخ أعجب من حصولها لمن كان حياً .

وأحيا موسى العصا وجعلها ثعبانا عظيما فابتلعت عصى السحرة ، ثم أعادها كما كانت قال تعالى « وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف مايأفكون » [٢] .

وإحياء الجماد ثم سلب الحياة منه أعجب من رد الروح إلى جسم كانت فيه الحياة من قبل .

وإن بارك المسيح على خمسة أرغفة حتى أكل منها خمسة آلاف رجل عدا النساء والأولاد . فإن موسى — كليم الله — سأل الله لقومه فأطعمهم المن والسلوى أربعين عاماً قال تعالى « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم الآية » [٣] .

وضرب موسى — عليه السلام — الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط من بنى إسرائيل عين . قال تعالى « وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا

---

(١) الملوك الثانى ١٣ : ٢١

(٢) الأعراف : ١١٧

(٣) البقرة : ٥٧ ، والمن شيء حلو كان يسقط فى الحر على شجرهم فيجتنونه ويأكلونه ، والسلوى طائر يشبه السمانى لا واحد له . من كتاب نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن على هامش المصحف الشريف .

قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين »[١] .

وإن مشى المسيح على البحر ولم يغرق ، فإن موسى قد ضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فعبر هو وقومه ونجوا وأتبعهم فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين . قال تعالى « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين »[٢] .

فإذا كانت هذه الخوارق التى هى أعجب من خوارق المسيح لم تقتض ألوهية من حصلت على يده ، فخوارق المسيح لا تقتضى ألوهيته أيضا .

وأما زعم صاحب القول الصريح أن آيات المسيح تخالف آيات غيره فى أنها كانت بقوته الشخصية وإرادته المطلقة بدون صلاة ، أو توسل لأبيه فيرده ماجاء فى الإنجيل من قول المسيح — عليه السلام — « كل شيء قد دفع إلى من أبى »[٣] .

وقوله عن نفسه « لا يقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئا »[٤] .

وقوله « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا »[٥] .

وقوله « الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل »[٦] .

---

(١) البقرة : ٦٠
(٢) الشعراء : ٦٢ — ٦٦
(٣) متى ١١ : ٢٧
(٤) يوحنا ٥ : ١٩
(٥) يوحنا ٥ : ٣٠
(٦) السابق ١٠ : ٢٥ ، ٢٩

وقوله عن المعجزات « أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى » (١).

وقوله للمنكرين لما قالوا : إنه يخرج الشياطين ببعلزبول رئيسهم « ولكن إن كنت بأصبع الله (يعنى بقدرته) أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (٢) .

وفى الأناجيل أقوال كثيرة من هذا النوع اقتصرت على ذكر نموذج منها .

ثم إن الأناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن هذه الخوارق إنما هى بتأييد من الله لرسالته ، فمن ذلك قوله عليه السلام : « لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » (٣) .

أى أن المعجزات التى أعطانيها الله هى بعينها التى ظهرت على يدى ، وهى تشهد لى بأن الله قد أرسلنى .

ويقول يوحنا مصوراً حال المسيح عند طلبه من الله معجزات إحياء لعازر « ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا أعلم أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى » (٤) .

أثنى على الله تعالى والتجأ إليه فى طلب معجزة إحياء لعازر ليؤمن قومه أنه رسول من عند الله ، وقد أجيب إلى طلبه .

---

(١) السابق نفس الإصحاح فقرة ٣٢

(٢) لوقا ١١ : ٢٠

(٣) يوحنا ٥ : ٣٦

(٤) السابق ١١ : ٤١ ، ٤٢

النبي صـــلى الله عليه وسلم

يحاج النصارى فيحجهم ويجيب عن شبهاتهم
ويقيم الدليل على عبودية المسيح والقرآن
ينزل تأييدا له فيما حاجهم به

يقول الله — سبحانه وتعالى — « الم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم ... إلى قوله سبحانه « كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب » (١) .

سبب نزول هذه الآيات :

نزلت هذه الآيات بسبب وفــد نجران قدموا على رسول الله — ﷺ — وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم ، وإليهم يؤول أمرهم . أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه « عبد المسيح » وثانيهم وزيرهم السيد واسمه « الأيهم » ، وثالثهم حبرهم وأسقفهم ، وصاحب مدارسهم « أبو حارثة ابن علقمة » أحد بنى بكر بن وائل .

وقد كان ملوك الروم شرفوه ، ومولوه وأكرموه لما شاهدوا من واجتهاده فى دينهم ، وبنوا له الكنائس .

فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته ، وكان أخوه كرز بن علقمة إلى جنبه ، فبينا بغلة أبى حارثة تسير إذ عثرت ، فقال كرز : تعساً للأبعد — يريد رسول الله ﷺ — فقال له أبو حارثة :

(١) آل عمران : ١ — ٧

بل تعست أمك ، فقال كرز : ولم يا أخى ؟ فقال أبو حارثة : إنه والله النبي الذى كنا ننتظره ، فقال له كرز : فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا ؟ فقال أبو حارثة : لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا ، فلو آمنا به لأخذ وامناكل هذه الأشياء ، فوقع ذلك فى قلب كرز وأضجره إلى أن أسلم وكان يحدث بذلك .

فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله — ﷺ — بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فاخرة .

يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي — ﷺ — ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد ، فقال عليه الصلاة والسلام دعوهم . فصلوا إلى المشرق ، ثم تكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله ﷺ فقالوا : تارة عيسى هو الله لأنه كان يحي الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير .

وتارة أخرى هو ابن الله ، لأنه لم يكن له أب يعلم .

وتارة أخرى أنه ثالث ثلاثة ، لقوله تعالى فعلنا وقلنا ، ولو كان واحداً لقال فعلت وقلت .

فقال لهم رسول الله : أسلموا . فقالوا : أسلمنا قبلك . فقال عليه الصلاة والسلام : كذبتم يمنعكم من الإسلام دعاؤكم لله تعالى ولداً .

قالوا : إن لم يكن ولد الله فمن أبوه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ألستم تعلمون أنه لايكون ولداً إلا ويشبه أباه . فقالو : بلى

فقال : ألستم تعلمون أن ربنا حي لايموت ، وأن عيسى يأتى عليه الفناء . قالوا : بلى

قال عليه الصلاة والسلام : ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه . قالوا : بلى .

قال عليه الصلاة والسلام : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً . قالوا لا.

فقال عليه الصلاة والسلام ألستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء . قالوا : بلى .

قال عليه الصلاة والسلام : فهل يعلم عيسى شيئاً من ذلك إلا ما علم. قالوا : لا .

قال عليه الصلاة والسلام : ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء ، وأن ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يموت . قالوا : بلى

قال عليه الصلاة والسلام : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، ووضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبى ، ثم كان يطعم الطعام ، ويشرب الشراب ، ويحدث الحدث . قالوا : بلى .

قال عليه الصلاة والسلام : فكيف يكون هذا كما زعمتم !

فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً ، ثم قالوا : يامحمد ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه . قال : بلى . قالوا : فحسبنا .

فأنزل الله تعالى هذه الآيات تقريراً لما احتج النبي به عليهم ، وأجاب به عن شبهتهم .(١)

وقد تبين مما تقدم أن النبي — ﷺ — حجهم فى مناظرته إياهم ، وأنهم عرفوا الحق وأدركوا صحة ماقاله الرسول — عليه الصلاة والسلام

---

(١) تفسير أبو السعود والفخر الرازى عند تفسير الآيات .

وسلموا له ماقررهم به من ثبوت صفات الألوهية لله وانتفائها عن عيسى، ثم أبوا إلا جحوداً واستكباراً عن الإيمان بالحق .

كما يبين أبو حارثة السبب فى امتناعه عن الدخول فى دين محمد — عليه الصلاة والسلام — مع اعترافه بنبوته فيقول : إن هؤلاء الملوك — يعنى ملوك الروم — أعطونا أموالا كثيرة ، وأكرمونا ، فلو آمنا بمحمد لأخذوا منا كل هذه الأشياء ، فهو يؤثر عرض الحياة الدنيا ومتاعها الفانى على مثوبة الآخرة والآخرة خير وأبقى .

ولكن كرزا لم يندفع فى تيار أخيه ، ولم تستهوه زخارف الدنيا الفانية . بل رق قلبه بعد سماع شهادة أخيه بنبوة محمد — عليه الصلاة والسلام - ووقعت تلك الشهادة فى نفسه ، وآتت ثمراتها الطيبة ، فاعتنق الإسلام فيما بعد ولم يرض به بديلا ،

ثم إنهم بعد أن جلى لهم النبى الحق ، وفند مزاعمهم بالدلائل الوضحة تعلقوا بالمتشابه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه . قال : بلى . قالوا : فحسبنا .— أى كافينا ذلك فى الدلالة على ألوهيته — ،ولكن أنى يكون المتشابه حجة لهم وقد تعلقوا بظاهره المنافى للعقل والمخالف للحكم الصريح .

ثم إن القوم لما ظهر عنادهم وكابروا الحق أمر النبى — ﷺ — بملا عنتهم ليتبين المحق من المبطل بما لايحتمل مكابرة ولا عناداً ، فدعاهم الرسول — عليه الصلاة والسلام — ، ولكنهم أبوا وصالحوه على الجزية .[1]

---

(١) يرجع إلى قصة الملاعنة فى كتب التفسير عند تفسير آية آل عمران رقم ٦١ .

تفسير الآيات إجمالا

قال تعالى « الم ، الله لا إله إلاهو الحى القيوم » بدأ سبحانه بذكر توحيده لينفى عقيدتهم من أول الأمر فقال «الله لاإله إلاهو الحى القيوم» أى هو المستحق وحده لأن يكون معبوداً ثم أتبع ذلك بما يدل عليه فقال «الحى القيوم» أى هو وحده الدائم البقاء الذى لاسبيل عليه للموت والفناء، وعيسى يأتى الفناء عليه. وهو وحده القيوم ، أى الذى قامت به الكائنات فهو الموجد لها ، وهو الذى يمدها بما يحفظ به وجودها من الأسباب وعيسى لا يملك من ذلك شيئا .

وقوله تعالى «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه» إستدلال على نبوته ﷺ بالقرآن من وجهين :

الأول: أنه نزل عليه القرآن بالحق ، أى متصفاً بما يحقق كونه من عند الله تعالى من الأسلوب المعجز ، والخلو من التناقض والإختلاف «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »[1] :

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»[2] .

الثانى : أنه نزل عليه مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية ، أى موافقا لها فى الدعوة إلى الإيمان بالله ، وتوحيده وتنزيهه عما لا يليق بشأنه وفى الأمر بالعدل والإحسان ، وأنباء القرون الخالية ، وفى نزوله على نحو ماأخبرت به تلك الكتب ، وفى الشرائع التى هى صلاح أهل كل

---

(١) الإسراء : ٨٨ (٢) النساء : ٨٢

زمان ، وهو عليه الصلاة والسلام أمى لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس إلى معلم ، ولم يسافر لتلقى العلم .

والغرض من هذا الاحتجاج حمل الوفد وسائر النصارى على الإيمان بالنبى ، وبما نزل عليه ، وترك ماهم عليه من الكفر والجحود .

وقوله تعالى « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » تعيين لبعض الكتب التى صدقها القرآن ، وإيماء إلى أن ماهم عليه من القول بألوهية المسيح وكونه ولد الله سبحانه يعد خروجاً على تعاليم التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كتب الله المنزلة على رسله فإنها توافقت جميعها فى الدعوة إلى التوحيد ، والتنزيه عن النقائص .

وإنما خص هذين الكتابين بالذكر من بين سائر الكتب السماوية لأنه لم يوجد فى عصر التنزيل من أهل الملل السماوية السابقة إلا أصحاب هذين الكتابين .

ثم قال سبحانه « وأنزل الفرقان » أى الفارق بين الحق والباطل ، وهو فى الأصل مصدر كالغفران أريد به هنا اسم الفاعل ، والمراد بها المعجزات التى قرنها الله تعالى بإنزال الكتب السماوية لتصديق من أنزلت عليهم فى دعوى الرسالة .

وهو جواب عن شبهتهم فيما ظهر على يد عيسى من الخوارق ، أى هو الذى خلق ماظهر على أيدى عيسى وموسى وسائر الرسل من خوارق العادات معجزة لهم ، فلا يدل ذلك على ألوهية أحد منهم ، وإنما يدل على نبوته ، ولو كان ظهور الخوارق على يد عيسى مستلزماً لألوهيته لكان كل رسول إلها لأنهم مساوون له فى ظهور الخوارق على أيديهم .

ولما قرر سبحانه بالدلائل الباهرة أمر التوحيد ، وأمر النبوة أردف

ذلك بالوعيد زجراً للمعرضين ، وحملا لهم على القبول والإذعان فقال « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد » الذين كفروا عام يتناول كل من أعرض عن آياته تعالى ، فيدخل فيه من نزلت الآيات بسببهم دخولا أولياً ، وآيات الله تتضمن المعجزات والكتب المنزلة على الرسل .

والإنتقام هو المبالغة فى العقوبة، والمعنى إن الذين كفروا بمعجزات الرسل ، وآيات الكتب المنزلة عليهم التى من جملتها آيات التوحيد والتنزيه ، والآيات المبشرة بنزول القرآن ، ومبعث النبى — عليه الصلاة والسلام — لهم بسبب كفرهم بها عذاب شديد فى الآخرة وهو عذاب الخلود فى نار جهنم ، فإنه لاذنب أعظم من الكفر ، ولا عذاب أعظم من عذاب النار .

ثم قال سبحانه تقريراً للوعيد السابق ، وتأكيداً له « والله عزيز » أى غالب لايغلب وقاهر لايقهر ، فلا يمنعه عن إنجاز وعيده فيمن كفر بآياته مانع « ذوانتقام » أى ذو عقاب شديد لمن كفر بآياته لايقدر على فعله غيره تعالى .

« إن الله لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » رد لشبهتهم فى إخباره عن بعض المغيبات ، أى أن الله تعالى يعلم جميع مافى السماوات والأرض من كلى وجزئى علماً لايقارنه شائبة خفاء ، وعيسى لايعلم من ذلك إلا ماعلمه الله ، وذلك لايدل على ألوهيته ، وإنما يدل على أن الله تعالى أيده بذلك معجزة له كما أيد غيره من الأنبياء بمثل ذلك معجزة لهم .

وقوله تعالى « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » رد لشبهتهم فى ولادة عيسى من غير أب ، أى كيف يكون عيسى كما زعمتم وهو عبد

من جملة عبيده صوره فى الرحم كما صور سائر بنى آدم فى أرحام أمهاتهم. غاية الأمر أن الله تعالى صوره من غير نطفة أب على خلاف عادته فى التصوير من نطفة أب وأم ، وذلك يدل على عظيم القدرة لا على ما زعمتم من النبوة .

والتصوير جعل الشىء على صورة ، والصورة هيئة حاصلة للشىء عند إيقاع التأليف بين أجزائه .

والأرحام جمع رحم وهو مستودع الجنين من الأنثى .

قال ابن الأثير فى كتاب غريب الحديث : ومن أسماء الله تعالى المصور وهو الذى صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شىء منها صورة خاصة . وهيئة متفردة يتميز بها على اختلافها و كثرتها[١] .

وعلى هذا فالمراد بالتصوير هنا إعطاء الصور الإنسانية المتمايزة بعضها عن بعض ، أى هو الذى يعطيكم فى ظلمات الأرحام صوراً بشرية متمايزة على ما اقتضته مشيئته تعالى ، فلا تتعذر عليه صورة يشاؤها ولا تلتبس صورة بأخرى مع كثرتكم وتماثل الماء الذى منه خلقكم وصوركم .

ولما ذكر سبحانه أنه لا يخفى عليه شىء ، وأنه المصور فى الأرحام كيف يشاء ذكر ما هو النتيجة الحتمية لذلك فقال « لا إله إلا هو العزيز الحكيم » أى إذا اختص تعالى بهذه الشئون العظيمة الدالة على كمال العلم وعظيم القدرة فهو الإله دون سواه الذى لا يعجزه شىء ، وهو الحكيم أى الموجد للأشياء إيجاداً على غاية الإحكام والإتقان[٢] .

---

(١) غريب الحديث لابن الأثير .
(٢) غريب القرآن للراغب .

لا أحد يشاركه فى العزة والحكمة حتى يشاركه فى الألوهية .

وأجاب سبحانه عن تمسكهم بما جاء فى القرآن من كونه كلمة الله وروح منه بأن القرآن بعضه محكم أى واضح الدلالة ، وهو الأصل الذى يرد إليه ماعداه ، وبعضه متشابه وهو ماليس كذلك ، وهذا يجب فيه التأويل والرد إلى الأصل المحكم ، وما فيه من كونه كلمة الله وروح منه ، وشأن الزائغين عن الحق أن يتمسكوا بالمتشابه ، ويعرضوا عن المحكم طلبا للفتنة ، ورغبة فى التأويل الفاسد مع أنه لايعلم تأويله الحقيق إلا الله والراسخون فى العلم . وذلك فى قوله جل شأنه « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ... الآية » أى أنزل عليك القرآن بعضه آيات محكمات واضحة الدلالة هن أم الكتاب ، أى أصله الذى يرد إليه المتشابه ، ويرجع إليه فى فهمه ، وإزالة ماأشكل منه ، ويعول عليه فى معرفة الأحكام التى تعبد الله تعالى بها المكلفين «وأخر متشابهات» أى خفيات الدلالة لأنها تحتمل مايوافق المحكم ، وتحتمل أيضا مايخالفه من حيث اللغة — لاالمراد .

فمن رد المتشابه إلى المحكم ولم يخالف بينهما فقد اهتدى إلى الحق ، ومن اقتصر على المتشابه فهو زائغ عن الحق منحرف عن جادة الصواب ، ولذلك قال سبحانه « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » أى ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة كنصارى نجران ، فيتبعون ماتشابه منه أى يتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل مايذهبون إليه من الباطل المخالف للمحكم ، ويحتمل أيضا مايوافقه من قول أهل الحق .

« ابتغاء الفتنة » أى طلب أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم ، ويضلونهم بالتشكك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه « وابتغاء تأويله » أى طلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم » أى يبتغون المتشابه إبتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله الحق الذى

يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم أى ثبتوا وتمكنوا فيه ، ولم يتزلزلوا فى مزال الأقدام ، ومزالق الأفهام .

فالواجب على النصارى ان لايتعرضوا للمتشابهات ، وأن يكتفوا بالرجوع إلى المحكمات الواردة فى حق عيسى — عليه السلام — كقوله تعالى : « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل » [١] .

وقوله تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية » [٢] .

وقوله تعالى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » [٣] .

أما البحث عن معنى المتشابهات فلا يجوز إلا للراسخين فى العلم لأنهم هم الذين أتقنوا الأمهات ، وفهموها حق فهمها حتى حصل لهم اليقين ورسخ العلم ، فلا ضير إذا تقدموا بعد ذلك لفهم المتشابهات فأرجعوها إلى الأصول ، ووفقوا بينها وبين الأمهات .

قال ابن الحصار : قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب ، لأن إليها ترد المتشابهات ، وهى التى تعتمد فى فهم مراد الله من خلقه فى كل ماتعبدهم به من معرفته ، وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وبهذا الاعتبار كانت أمهات ، ثم أخبر عن الذين فى قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ماتشابه منه ، ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات ، وفى قلبه شك واسترابة كانت

---

(١) الزخرف : ٥٩ (٢) المائدة : ٧٥

(٣) آل عمران : ٥٩

راحته فى تتبع المشكلات المتشابهات ، ومراد الشارح منه التقدم إلى فهم المحكمات ، وتقديم الأمهات حتى إذا حصل اليقين ، ورسخ العلم قبل بما أشكل عليك .

ومراد هذا الذى فى قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات ، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات ، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع (١) .

القرآن وصلب المسيح

لمحة موجزة عن هذه العقيدة .

أساس عقيدة الصلب عند النصارى هو أن آدم لما عصى ربه بالأكل من الشجرة المنهى عنها صار مذنبا ، وصار جميع ذريته كذلك مذنبين مستحقين للعقاب بذنب أبيهم وبذنوبهم ، ولما كان الله سبحانه متصفا بالعدل والرحمة ، فإذا عاقبه هو وذريته كان ذلك منافياً للرحمة ، وإذا لم يعاقبه كان منافياً للعدل ، فطرأ عليه (تعالى الله عن ذلك) أن يحل ابنه الذى هو هو نفسه فى بطن امرأة من ذرية آدم ، ويتحد بجنين فى رحمها ، ويولد منها ، فيكون إنسانا كاملا من حيث هو ابنها ، وإلها كاملا من حيث هو ابن الله ، ثم بعد أن يعيش معهم زمنا يسخر أعدائه لقتله وصلبه ، فيتحمل ذلك لأجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم (٢) .

موقف القرآن الكريم من هذه العقيدة :

صرح القرآن الكريم بأن اليهود لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه ، وإنما قتلوا غيره وذلك فى قوله تعالى « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن

(١) الإتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٥ .
(٢) هذا هو ملخص العقيدة عندهم

مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما »(١) .

وأقول : إن ماقرره القرآن الكريم بعد ستة قرون من هذه الحادثة، وبعد أن اعتقد الجمهرة من الناس أن اليهود قتلوه وصلبوه هو الحق الصريح ، فقد نزل القرآن الكريم ليصحح للناس عقيدتهم ، ويبين لهم خطأهم ، وهو أمر لا يمكن أن يكون إلا من عند علام الغيوب ، الخبير بما كان وما سيكون .

أما الذى قتل وصلب فهو يهوذا الإسخريوطى ، لأنهم لم يكونوا يعرفوا المسيح حق المعرفة ، وأناجيلهم المعتمدة عندهم تصرح بأن الذى أسلمه إلى الجند هو يهوذا الإسخريوطى ، وأنه جعل لهم علامة أن من قبله يكون هو يسوع المسيح ، فلما قبله قبضوا عليه .

جاء فى إنجيل يوحنا عندما جاء الجنود يتقدمهم يهوذا ، وكان الوقت ظلاماً فاستيقظ تلاميذه على الأصوات ، وأن بطرس حاول الدفاع عنه « فقال يسوع لبطرس : اجعل سيفك فى الغمد ، الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها »(٢) .

وجاء عن العلامة التى أعطاهم يهوذا إياها قول الإنجيل «والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو . أمسكوه » ، فللوقت تقدم إلى يسوع وقال : السلام ياسيدى ، وقبله »(٣) .

وقد صرح إنجيل برنابا بأن الجنود أخذوا يهوذا الإسخريوطى نفسه ظنا منهم أنه المسيح ، لأنه ألقى عليه شبهه ، وكان يهوذا من

---

(١) النساء ١٥٧ ، ١٥٨

(٢) يوحنا ١٨ : ١١

(٣) متى ٢٦ : ٤٨ ، ٤٩

خواص المسيح ، وكان يشبهه فى خلقه ، وهو الذى دلهم عليه لأنه كان قد نافق[١] .

والنصارى متفقون على أن يهوذا لم يعثر له على أثر بعد الحادثة ولذلك قالوا : إن كان المسيح قد قتل فأين صاحبنا .

وإن كان صاحبنا قد قتل فأين المسيح ؟

وكثيراً مايحدث هذا الإشتباه بين الناس ، وقد صرحت أناجيلهم بأن مريم المجدلية وهى أعرف الناس بالمسيح — اشتبهت فيه وظنت أنه البستانى « ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ، ولم تعلم أنه يسوع ، فقال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين ، فظنت تلك أنه البستانى »[٢] .

وليس هذا فحسب بل إن المسيح — عليه السلام — أخبر تلاميذه بأنهم سيشكون فيه ليلة القبض عليه « كلكم تشكون فى هذه الليلة »[٣] .

وحتى هؤلاء الذين كانوا معه فى هذه الليلة تفرقوا عنه وهربوا لما جاء الجنود ليقبضوا عليه « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا »[٤] فتركه الجميع وهربوا »[٥]

ومما يثير الحيرة والعجب أنه إذا كان المسيح — عليه السلام — قد بذل نفسه باختياره فداء وكفارة عن البشر ، فلماذا حزن واكتأب عندما شعر بقرب أجله ، وطلب من الله أن يصرف عنه هذه الكأس !

---

(١) إنجيل برنابا (٢) يوحنا ٢٠ : ١٤، ١٥
(٣) متى ٢٦ : ٣١ ومرقس ١٤ : ٢٧
(٤) متى ٢٦ : ٥٦ (٥) مرقس ١٤ : ٥٠

جاء فى الإنجيل ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت ، امكثوا هنا واسهروا معى، ثم تقدم قليلا وخر على وجهه ، وكان يصلى قائلا : ياأبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت ، فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا . ياأبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك » (١) .

فكيف يقول المسيح هذا وهو إله عندهم ؟ وكيف يجوز أن يجهل مايمكن ومالا يمكن ؟ وكيف يطلب إبطال ماأراده الآب ! .

وقد جاء القرآن الكريم مبينا ذلك كله فى أوجز عبارة فى قوله تعالى : « وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه ... » فالمعنى أنهم ماقتلوا عيسى متيقنين قتله ، لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة ، بل توفاه الله ورفعه إلى موضع كرامته ، كما قال سبحانه فى إدريس « ورفعناه مكاناً علياً » (٢) .

ونظير ذلك ماجاء فى سورة آل عمران قوله تعالى « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ... » (٣) .

فمعنى رفعه فى هذه الآية الإخبار عن تحقيق الوعد الذى تضمنته آية آل عمران .

وإذا كانت الآية التى نحن بصدد الحديث عنها جاءت خالية من التوفية والتطهير فإنه يجب أن يلاحظ فيها مافى الآية الأولى جمعا بين الآيتين ، فما أوجز فى إحداهما تكمله الأخرى لئلا يهمل أحد النصين .

---

(١) متى ٢٦ : ٣٧ — ٣٩ ، ٤٢ (٢) مريم : ٥٧
(٣) آل عمران : ٥٥

شرح الآيتين إجمالا

قوله سبحانه « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » أى وبسبب قولهم هذا فإنه قول يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل، والضراوة فى ارتكاب الجرائم، والإستهزاء بآيات الله ورسله، ووصفه هنا بصفة الرسالة للإيذان بتهكمهم به عليه السلام، واستهزائهم بدعوته وهو مبنى على أنه إنما ادعى النبوة والرسالة فيهم لا الألوهية كما تزعم النصارى.

على أن أناجيلهم المعتمدة عندهم ناطقة بأنه كان موحدا لله تعالى، مدعياً للرسالة جاء فيها « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحده ويسوع الذى أرسلته »[1].

« وماقتلوه وماصلبوه » أى والحال أنهم ماقتلوه كما زعموا تبجحا بالجريمة، وماصلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس « ولكن شبه لهم » أى وقعت لهم الشبهة أو الشبه، فظنوا أنهم صلبوا عيسى وإنما صلبوا غيره، ومثل هذا الشبه أو الإشتباه يقع فى كل زمان.

وهنا أذكر شبهة النصارى فى عدم إلقاء شبه المسيح على غيره وأجيب عنها.

يقول النصارى: إذا جاز أن يشتبه فى المسيح، ويجهل شخصه الجنود الذين جاؤا للقبض عليه والحكام ورؤساء الكهنة الذين طلبوا صلبه بعد القبض عليه. فهل يجوز أن يشتبه فى ذلك تلاميذه ومريدوه الذين يعرفونه حق المعرفة.

---

(١) يوحنا ١٧: ٣

والجواب عن ذلك من وجهين :

الأول : أنه عهد بين الناس أن يشبه بعضهم بعضا شبهاً تاماً بحيث لايميز أحد المتشابهين المعاشرون والأقربون ، وقد يكون هذا بين الغرباء كما يكون بين الأقربين .

وسأعزز هـذا القول بمثالين عن مسيحيين ممن يوثق بكلامهم عندهم :

١ — قال صاحب كتاب « التربية الإستقلالية » (أميل القرن التاسع عشر) حكاية عن كتاب كتبته امرأة الدكتور « إراسم » إلى زوجها مانصه لقد كثر مالاحظت أنه يوجد فى بعض الأحوال بين شخصين مختلفين فى الذكورة والأنوثة والموطن تشابه كالذى يوجد بين أفراد أسرة واحدة مع أن كلا منهما يكون أجنبيا عن الآخر من كل الوجوه ، أتدرى من هو الذى حضرت صورته فى ذهنى عند وقوع بصرى على السيدة « وارنجتون » ذلك هو صديقك يعقوب نقولا ، خلتنى أراه بذاته فى زى امرأة » .

فهذ مثال لرأى الكاتبة فى تشابه الناس بعضهم بعضا .

٢ — ذكر « جاى » و « فرير » مؤلفا كتاب (أصول الطب الشرعى) فى اللغة الإنجليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا لمعرفة شخص يدعى « مارتين جير » فجزم أربعون منهم أنه هو هو ، وقال إخمسون إنه غيره ، والباقون ترددوا جداً ، ولم يمكنهم أن يبدوا رأياً ، ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جير ، وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون ، وعاش مع زوجة مارتين محاطاً بأقاربه وأصحابه ومعارفه مدة ثلاث سنوات ، وكلهم مصدقون أنه مارتين ، ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة ، استأنف الحكم فى محكمة أخرى ،

فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون ، فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين ، وقال سبعة : إنه غيره ، وتردد الباقون .

حدثت هذه الواقعة سنة ١٥٣٩ م فى فرنسا .[١]

وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل وقعت فى بلاد مسيحية .

الثانى أن إلقاء شبه المسيح على غيره وصلب ذلك الغير كان من خوارق العادات التى أيد الله بها نبيه عيسى ابن مريم ، وأنقذه من أعدائه ، فألقى شبهه على غيره ، وغير شكله هو ، فخرج من بينهم وهم لا يشعرون ، وقد ذكرت فى الصفحات السابقة نصوصا من الأناجيل المعتمدة عندهم تفيد أنهم يشكون فيه فى هذه الليلة ، وأنه يتشكل بغير شكله ، وأنه طلب من الله أن يعبر عنه هذه الكأس ، أى قتله وصلبه إن أمكن . ولا شك أن هذا من الممكنات الخاضعة لقدرة الله ومشيئته .

ويمكن أن يستدل على إجابة الله لدعاء المسيح بقول يوحنا حكاية عنه فى سياق قصة الصلب !! ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم »[٢]

قال المسيح هذا بعد إخبارهم بأنه تأتى ساعة يتفرقون عنه ، ويبقى وحده ولكن الله يكون معه أى بعونه وحفظه .

وقد ذكرت نصوصاً من الأناجيل تثبت هرب جميع تلاميذه من حوله أثناء القبض عليه منها « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا »[٣]

فهذا نص واضح فى أن التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح ، فلم يكن تلاميذه الذين يعرفونه حق المعرفة هناك .

---

(١) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) يوحنا ١٦ : ٣٣ . (٣) متى ٢٦ : ٥٦ .

ومما يدل على استجابة الله لدعاء المسيح بأن ينقذه ويعبر عنه تلك الكأس ماجاء فى سفر المزامير «أعنى يارب . إلهى خلصنى حسب رحمتك وليعلموا أن هذه هى يدك ، أنت يارب فعلت هذا ، أماهم فيلعنون ، وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح ، ليلبس خصمائى خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ، أحمد الرب جداً بفمى ، وفى وسط كثيرين أسبحه ، لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه »[1]

والنصارى يقولون : إن المراد بهذه العبارة المسيح عليه السلام [2]

قوله سبحانه « وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن » أى وإن الذين اختلفوا فى شأن عيسى من أهل الكتاب فى شك من حقيقة أمره ، أى فى حيرة وتردد مالهم به من علم ثابت قطعى لكنهم يتبعون الظن ، أى القرائن التى ترجح بعض الآراء الخلافية على بعض ... فالشك فى صلب المسيح هو التردد فيه أكان هو المصلوب أم غيره ؟ .

فبعض المختلفين فى أمره الشاكين فيه يقول : إنه هو . وبعضهم يقول إنه غيره . وما لأحدهما علم يقينى بذلك ، وإنما يتبعون الظن .

وقوله تعالى « إلا اتباع الظن » استثناء منقطع ، « وما قتلوه يقينا » أى وما قتلوا عيسى ابن مريم قتلا يقينا ، أو متيقنين أنه هو بعينه ، لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة .

وجميع روايات المسلمين متفقة على أن عيسى — عليه السلام — نجا من أيدى مريدى قتله ، فقتلوا آخر ظانين أنه هو . « بل رفعه الله إليه »

---

(١) مزمور ١٠٩ : ٢٦ — ٣١ .
(٢) المنار جـ ٦ ص ٣٤ .

جاء توضيح الرفع فى سورة آل عمران آية ٥٥ « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا . . الآية .

روى عن ابن عباس تفسير التوفى هنا بالإماتة كما هو الظاهر المتبادر ، وعن ابن جريج تفسيرها بأصل معناها وهو الأخذ والقبض ، والمراد منه ومن الرفع إنقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذى اصطفاه وقربه إليه .

وهذه البشارة من الله لعيسى بإنجائه من مكر أعدائه ، وجعل كيدهم فى نحورهم قد تحققت ، ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والحيلة[1] .

« وكان الله عزيزاً حكيماً » فبعزته وهى كونه يقهر ولا يقهر ، ويغلب ولا يغلب . أنقذ عبده ورسوله عيسى — عليه السلام — من اليهود الماكرين والرومان الحاكمين[2] .

---

(١) السابق جـ ٣ ص ٢٦٠

(٢) يقول النصارى : إن القرآن وحده هو الذى أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق إلى ذلك .

وهذا منهم كذب وافتراء فإن هذه الحقيقة قالت بها فرق كثيرة من النصارى الأولين مثل الباسيليديين والسيرانثيين والكاربوكراتيين والتاتيانوسيين وغيرهم .

وورد مثل ما قاله القرآن فى كتب أخرى كالكتاب المسمى « رحلة الرسل » وهو يشبه كتاب الأعمال الذى عند النصارى الآن ، وورد فيه أن المسيح لم يصلب وإنما صلب واحد آخر بدله . كما رواه العلامة « سيل » الانجليزى مترجم القرآن . وكما ورد فى إنجيل برنابا من نفى الصلب عن =

وبحكمته جوزى كل عامل بعمله فأحل باليهود ما أحل بهم ، وسيوفيهم جزاءهم فى الآخرة[(١)] .

القرآن وعقيدة البنوة

قال الله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون »[(٢)] .

تمسك النصارى باطلاق ابن الله على المسيح محتجين بما ورد فى الكتاب المقدس وسأقوم بإيراد بعض الفقرات الواردة بهذا الشأن ، ثم أفندها، ثم أذكر موقف القرآن من هذه العقيدة .

جاء فى سفر أشعياء « لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفيه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام »[(٣)] .

وفى الإنجيل أنه عند عماده وتجليه على الجبل شهد له بصوت مسموع قائلا « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »[(٤)] .

وقول يوحنا « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة

= المسيح ووقوعه على غيره . من كتاب « الدين فى نظر العقل الصحيح تأليف الدكتور/ محمد توفيق صدقى ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، وتفسير المنار ج ٦ ص ٢٦

(١) تفسير المنار ج٦ ص ١٦ — ١٨ باختصار

(٢) التوبة : ٣٠ (٣) أشعياء

(٤) متى ٣ : ١٧

الله ... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقاً »[١] .

ولما سأله رئيس الكهنة وقال له : استحلفك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله أجاب المسيح على الحلف قائلا : أنا هو[٢] .

ولمناقشة هذه النصوص على فرض صحة هذه الكتب وكونها وحياً إلهيا أقول : أما قول أشعياء « لأنه يولد لنا ولد .. إلخ » فإنه لا ينطبق على المسيح — عليه السلام — ولإيضاح ذلك أذكر بقية النص وهو قوله بعد ذلك « لنمو رياسته وللسلام لانهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد . غيرة رب الجنود تصنع هذا »[٣] .

فهذا لا ينطبق على المسيح لأنه لم يجلس قط على كرسي داود ، ولم يثبت له مملكته . بل كان الملك والسلطان في عهده لملوك الدولة الرومانية كما بينه متى في الإصحاح الثاني والسابع والعشرين من إنجيله .

وكان من الضعف بحيث اضطهده أعداؤه ، وأرادوا قتله فرفعه الله من بينهم ، وألقى شبهه على آخر فصلبوه . بل زعم كتاب أنا جيلهم أن جنود بيلاطس وخدام اليهود قبضوا عليه وجلدوه ، ولطموا وجهه الشريف وبصقوا عليه ، ثم صلبوه[٤] .

---

(١) يوحنا ١ : ١ ، ٣ ، ١٤
(٢) يقابل في ذلك متى ٢٦ : ٦٣ بمرقس ١٤ : ٦٢
(٣) أشعياء ٩ : ٧
(٤) متى إصحاح ٢٦ ، ٢٧ ويوحنا إصحاح ١٨ ، ١٩

وعلى فرض تسليمنا بأن المراد بالإبن المسيح — عليه السلام — فإن الكلام لايدل على ألوهيته بل يدل على عدمها للإخبار بأنه يولد ويحدث بعد أن لم يكن ، وأن رياسته تنمو وتزيد ، فإن الله — سبحانه — منزه عن أن يتصف بشيء من ذلك ، إذ هو الأول بلا بداية ، الكامل فى أوصافه أزلا ودواما وأبدا .

وقول متى فى حق المسيح « هذا هو ابنى الحبيب » غير محمول على ظاهره ، وليس المراد به البنوة الحقيقية لكونها محالة على الله سبحانه . بل بنوة المحبة والتقريب ، ويؤيد ذلك قول بولس « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور ، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » يعنى المسيح « الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا »[1] .

وقول يوحنا « تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب » أى المعلم « يسوع المسيح ابن الآب بالحق والمحبة »[2] .

ولأن الله تعالى يقول فى حقه « أنا اليوم ولدتك »[3] .

وذلك يدل على ولادته بعد أن لم يكن مولوداً ، وقوله « ولدتك » بمعنى خلقتك ، فإن التوالد الجنسى المعروف محال على الله تعالى .

وقول يوحنا فى أول إنجيله « فى البدء كان الكلمة ... الخ » معارض بالعقل وصريح النصوص مثل قول عيسى — عليه السلام لليهود « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله »[4] .
فوجب تأويل هذه النصوص وصرفها عن الظاهر ، وفى ذلك أقول :

---

(١) كولوسى ١ : ١٢ — ١٤ . (٢) رسالة يوحنا الثانية ١ : ٣
(٣) مزمور ٢ : ٧ (٤) يوحنا ٨ : ٤٠

إن قول يوحنا « فى البدء كان الكلمة » يعنى المسيح ليس معناه أنه قديم لاأول له . بل المعنى فى أول الخلق والإيجاد كان الكلمة ، أى وجد عيسى . أو كان عيسى مخلوقاً فيكون قدمه نسبياً لاحقيقياً، ويدل على ذلك قول بولس فى حق المسيح « الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة »[١]. أى أول المخلوقات . وقول يوحنا فى شأنه « هذا يقوله الأمين الشاهد الأمين الصادق بداءة خليقة الله»[٢] أى أولهم .

وقول يوحنا « الكلمة كان عندالله » معناه أن الكلمة أى المسيح — عليه السلام — كان قبل خلق جسده موجوداً بروحه الإنسانية عند الله تعالى . والعندية مجاز عن كمال القرب المعنوى من الله سبحانه . وليست عندية المكان لاستحالة المكان على الله سبحانه . فالجملة الأولى أفادت أنه مخلوق قبل الأكوان ، والثانية بينت أن المخلوق منه الروح لا الجسد .

ويستفاد من قوله « كان عند الله » أن المسيح غير الله ، وإلا لكان المعنى كان المسيح عند نفسه وهو باطل .

وإذا كانت النصوص الصريحة تدل على أن المسيح إنسان منبأ من الله تعالى وجب تأويل ماعارضها ظاهرا مثل قول يوحنا، وكان الكلمة الله، فيقال لما كان المسيح رسول الله المبلغ عنه أوامره ونواهيه استساغ يوحنا أن يقول كان المسيح الله على معنى أن طاعته عليه السلام طاعة لله تعالى ، وكذلك عصيانه عصيان لله سبحانه . وذلك من قبيل قول الله تعالى مخاطباً نبيه محمد — ﷺ — « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم »[٣] .

---

(١) كولوسى ١ : ١٥ (٢) رؤيا يوحنا اللاهوتى ٣:١٤
(٣) الفتح : ١٠

وقول يوحنا «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» معارض بما شهد به العقل وصريح النصوص الإنجيلية من أن المسيح إنسان مخلوق، فتعين تأويله وحمله على الصريح الموافق للعقل، فأقول:

إن قول يوحنا «كل شيء به كان الخ» معناه أن الله تعالى خلق الخلق لأجل عيسى — عليه السلام — ويؤيد هذا قول بولس فى حق المسيح «الذى هو» أى المسيح «صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فإنه» يعنى الله تعالى «به» أى بالمسيح ولأجله «خلق الكل مافى السماوات وماعلى الأرض مايرى ومالا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق»[1] .

يقول: إن عيسى صورة الله الذى هو غير مرئى ، أى مخلوق على صورته من كونه سميعاً بصيراً متكلماً .

ثم قال: عيسى أول الخليقة ، وأن الله تعالى بسببه ولأجله خلق الخلق ، ثم أعاد هذا المعنى بقوله «الكل به وله قد خلق» أى كل الأشياء بسببه ، ولأجله خلق الله الخلق ، فالأشياء كونت لأجله ولم تكن كونا له .

وقول يوحنا «والكلمة صار جسدا ... إلخ» معناه أن عيسى — عليه السلام — صار بتصيير الله تعالى جسداً إنسانا ذا روح بعد أن كان روحاً فقط بغير جسد، فإن روحه خلقت أولا ، ثم خلق جسده ونفخت الروح فيه، وبينه بقوله «مملوء نعمة وحقا» أن عيسى مملوء بالعلوم الإلهية والحكم شأنه فى هذا شأن سائر الأنبياء — عليهم السلام — .

---

(١) كولوسى ١ : ١٥ ، ١٦

وقوله عليه السلام «أنا هو» لمن قال له «هل أنت المسيح ابن الله» لايدل على بنوته الحقيقية لله لأمرين :

الأول : أن الولادة الحقيقية إنما تصح فى حق من يكون مركبا ، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه وذلك فى حقه تعالى محال ، فتعين التأويل والحمل على المعنى المجازى ، وبتتبع التراكيب المستعمل فيها هذا اللفظ يتضح أنه مجاز عن معنى حبيب .

وهذه بعض النصوص الدالة على ذلك . قول عيسى — عليه السلام: «طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون» [١] أى أحباؤه .

وقوله عليه السلام «وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات» [٢] أى أحباؤه .

وفى رسالة يوحنا قوله «أيها الأحباء ليحب بعضنا بعضا لأن المحبة هى من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله» [٣] أى صار محبوبا منه .

وقول بولس «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» [٤] أى أحباؤه .

فإن قالوا : جاء فى حق عيسى — عليه السلام — لفظ الإبن الوحيد فى قول يوحنا «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به» [٥] .

---

(١) متى ٥ : ٩ (٢) السابق نفس الإصحاح فقرات ٤٤ ، ٤٥
(٣) رسالة يوحنا ٤ : ٧ (٤) رومية ٨ : ١٤
(٥) رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٩

والجواب عن ذلك أن لفظ الوحيد لا يصح إبقاؤه على ظاهره لأن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) أطلق البنوة على كثيرين، واطلق على بعضهم لفظ الإبن البكر كما سيأتى .

فتعين تأويله بأن يكون معناه أنه فريد فى طريقة تكوينه حيث خلق بلا نطفة أب .

الثانى : أن هذه البنوة أطلقت على كثيرين غير المسيح ، فعند لوقا فى بيان نسب المسيح « ابن شيث بن آدم بن الله » (١) .

فأطلق على آدم لفظ ابن الله .

وفى سفر الخروج يقول الله تعالى « هكذا يقول الرب إسرائيل إبنى البكر » (٢) .

فأطلق على إسرائيل لفظ إبن الله . بل ابن الله البكر .

وفى سفر المزامير يقول الله تعالى « وجدت داود عبدى . بدهن قدسى مسحته هو يدعونى أبى أنت إلهى ، وصخرة خلاصى ، أنا أيضا أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض » (٣) .

فأطلق على الإله لفظ الآب وعلى داود لفظ ابن الله البكر .

وقوله تعالى فى حق سليمان — عليه السلام — « أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابنا » (٤) .

وفى حق بنى إسرائيل جاء قوله تعالى « أنتم أولاد للرب إلهكم » (٥) .

---

(١) لوقا ٣ : ٣٨
(٢) خروج ٤ : ٢٢
(٣) مزمور ٨٩ : ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧
(٤) صموئيل الثانى ٧ : ١٤
(٥) تثنية ١٤ : ١

فلو كان إطلاق هذا اللفظ دليلا على البنوة الحقيقية لكان هؤلاء جميعا أبناء حقيقيون لله ، ولكانوا آلهة أيضا ، وهو ظاهر البطلان .
والنصوص فى هذا المعنى كثيرة وقد اكتفيت بأمثلة منها .

من أين استمد النصارى عقيدة البنوة ؟

يجيب القرآن الكريم على ذلك بعبارة موجزة فى قوله تعالى «وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ... الآية» [1] .

إن بيان هذه الحقيقة من معجزات القرآن الباهرة ، فإنه لم يكن يعرف ذلك أحد من العرب ولا ممن حولهم إلى أن جاء بها القرآن الكريم .

والمعنى أن النصارى يشابهون ويحاكون فيه قول الذين كفروا من قبلهم ، فقد قالوا هذا القول أو مثله [2] .

ولتوضيح ذلك أقول : لقد رتب النصارى على بنوة المسيح لله ألوهيته ، وزعموا أنه صلب فداء عن البشر ، وفى إسناد القرآن لما قيل فى المسيح إلى عقائد وأفكار الكافرين من الأمم السابقة لفتة منه للعقل ، وحث له فى أن يجد فى تتبع هذه الروافد ليصل إلى الينابيع الأولى للمسيحية وأصولها فى أعماق الماضى .

وبمقارنة عقيدة الهنود فى البنوة نجد أنها تطابق تماماً عقيدة النصارى فى بنوة المسيح لله :

---

(١) التوبة : ٣٠

(٢) تفسير المنار جـ ١٠ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ بتصرف

١ — لما كان بوذا طفلا قال لأمه « مايا » إنه أعظم الناس جميعا .

يقابلها عند النصارى : لما كان المسيح طفلا قال لأمه « مريم » أنا ابن الله .

٢ — كان بوذا ولداً مخيفا ، وقد سعى الملك « جمارا » لقتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقى حياً .

يقابلها عند النصارى : كان يسوع ولداً مخيفا ، وسعى الملك « هيرودس » وراء قتله كى لاينزع الملك من يده .

٣ — أن بوذا هو الإبن الوحيد ، وأنه تجسد فى الناسوت ، وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ، ومن ثم يسمونه المسيح والمخلص والإبن .

يقابلها عند النصارى : أن الإبن يسوع هو الكلمة التى تجسدت فى المسيح نتيجة التقاء روح القدس بمريم العذراء ، وأنه صلب تكفيراً عن خطيئة آدم الأزلية التى انتقلت إلى ذريته حتى خلصهم المسيح بقتله وصلبه عن هذه الخطيئة (١) .

---

(١) الأناجيل الأربعة ، وكتاب ينابيع المسيحية فى المقارنة بين بوذا وعيسى ، وكتاب محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

بولس ويوحنا هما الواضعان لعقيدة البنوة

لقد استقى بولس ويوحنا إلها مهما المزعوم — من العقائد الوثنية السابقة على المسيحية ، وعلى الأخص أخذا من فيض خواطر فيلون وآرائه الدينية والفلسفية [١] .

---

(١) ولد فيلون فى الإسكندرية نحو عام ٢٠ أو ٣٠ ق.م ، ومات بعد عام ٥٤ من القرن الأول الميلادى ، أى فى زمن الحواريين ، وكان كبير المنزلة بين أبناء جنسه وطائفته اليهود ، حتى أرسل على رأس وفد إلى رومة ممثلا لها لدى الإمبراطور «كاليجولا» إلتماساً للعدالة بالنسبة لليهود وتظلما من الحاكم «فلاكوس» وكان ذلك بعد أن تجاوز الستين من عمره .

وهو فيلسوف إسكندرى فى آرائه الفلسفية والدينية ، وقد درس الفلسفة اليونانية ، وسائر الفلسفات التى كانت الإسكندرية تموج بها فى عصره وقد بلغ من علو مرتبته فى الفلسفة الإغريقية أنه كان يلقب بـ «الإفلاطونى» أو «إفلاطون اليهود» ذلك أن فلسفته كانت تقوم بعد التوراة والتفكير اليهودى على فلسفة إفلاطون والمذاهب الإفلاطونية عامة .

وقد جعل هدفه التوفيق بين الكتاب المقدس وعادات اليهود من جهة ، والآراء اليونانية وبخاصة آراء إفلاطون من جهة أخرى .

ومع هذا وذاك لم تخل فلسفة فيلون وآراؤه من التأثر ببعض التفكير الشرقى ومذاهبه ، ومن ثم كان لفلسفته — وهذه مصادرها — الأثر الذى لا ينكر فى الإفلاطونية الحدثة ، والمسيحية الحالية ، وكان ذلك بفضل دعاة النصرانية الذين استفادوا منها . وهذا هو السر فى أن =

وكان فيلون معاصراً للمسيح ، وربما لم يسمع عنه ، ولكنه قد أسهم على غير علم منه فى تكوين اللاهوت المسيحى .

ومن العرض السريع لبعض آراء فيلون ونظرياته الفلسفية ومقارنتها بالعقائد والتعاليم المسيحية يتضح لنا أنها مكررة بهيئتها .

(أ) نظرية الخلق عند فيلون قائمة على أساس أن الله لكى يخلق العالم استخدم لذلك كائنات وسطى . وقال : إن فى وسعنا أن نتصور هذه الكائنات فى صورة أشخاص ، وهى تكون مايسميه الرواقيون الكلمة ، أو العقل الإلهى خالق العالم .

وكان فيلون يتأرجح بين الفلسفة واللاهوت ، وبين التجسيد ، ولهذا كان يفكر فى العقل الإلهى مرة كأنه شخص ، وأخرى يسميه أول ماولد الله ... وابن الله من الحكمة العذراء ، ويقول : إنه عن طريق الكلمة كشف الله عن نفسه للإنسان . هذا عند فيلون .

ثم ننظر فى المسيحية فنجد بولس يقول فى رسالته إلى العبرانيين « الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شىء ، الذى به أيضا عمل العالمين » (١) .

= فيلون قد شغل أول الأمر اللاهوتيين والمؤرخيين الذين يبحثون عن أصول المسيحية .

ومن المعروف أن نشاط فيلون العقلى قد ازدهر وأثمر مفعوله فى الأربعين سنة الأولى من القرن الأول المسيحى ، فقد كتب آخر مؤلفاته فى عام ٤١ م

(١) عبرانيين ١ : ١ ، ٢ .

(ب) عالج فيلون فكرا دينية بالفكر الفلسفية ، إذ أنه كان لا يفصل بين الفلسفه والدين ، ولكنه يتخذ الدين أصلا ويشرحه بالفلسفة .

ومن هذا المنزع أخذ يوحنا وبولس لاهوتهما ، وعلى سبيل المثال .

فقد كان هناك فى الفكر الهلينى عقيدة أن (أفكار الله) هى النموذج التى شكلت الأشياء كلها بمقتضاه ، وهى عقيدة بطليموس ، ومنه تسلم الرواقيون هذه الفكرة ، وبدل أن تكون أفكاراً جمعوها فى واحدة وقالوا : إنها (فكرة الله المخصبة) ، ثم مرت هذه الفكرة بطور جديد عند الفيثاغوريين الجدد ، فجسدوا هذه الأفكار ، وجعلوها شخصاً قدسياً ، ثم استوت الفكرة عند فيلون وانصهرت فاستحالت، فى فلسفته إلى عقل الله ، أى أنها عنصر وكائن ثان يخلق الله به الخلق ، وعن طريقه يتصل بالعالم .

إذا علم هذا تبين لنا أن يوحنا قد سار على درب الفلاسفة وأصبح كأحدهم ،وخاصة فيلون . يتضح ذلك فى قول يوحنا فى بدء إنجيله «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ... كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان ، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والكلمة صار جسداً وحل بيننا » [1]

فقد أريد بالكلمة (اللاغوس) ابن الله — أى الشخص الثانى من الثالوث — فى اللاهوت المسيحى .

(ج) وحين يقول فيلون كما قال افلاطون : بأن الله آب وخالق العالم ، ويسميه مخلصا أو منجياً ، فإن هذه هى مكانة الله عند القديس بولس مجدد المسيحية . إذ ينعت الله بأنه (آب وخالق) كما يعطى المسيح وظيفة النجاة والخلاص فيقول « لكن لنا إله واحد الآب الذى منه

---

(١) يوحنا ١ : ١ ، ٣ ، ٤ ، ١٤ .

جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به »[١]

وقوله « صادقة هى الكلمة ، ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة »[٢]

(د) وإذا نسب إفلوطين تعريفا إلى الرواقيين يقول بأن الله جسد بلا كيف » ، فإن بولس يقول بأن الله ظهر فى الجسد « الله ظهر فى الجسد »[٣]

ويقول « ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها »[٤]

(ﻫ) كذلك عندما يقرأ المرء ماعند اليونان وفى الدين المصرى القديم عن آلهة لمعان مجردة ، وأنها ذوات غير مشخصة يتوجه إليها بالعبادة مثل (ما) إلهة الحقيقة ، فقد قال فيلون : بأن اللوغوس والأقانيم كائنات مجردة .

فى نفس الوقت نجد عند بولس أن يسوع المسيح أقنوم الإبن ذات غير مشخصة ، إلا أنه تشخص بالتأنس فى جسد الإنسان رحمة بالإنسان يقول بولس عن يسوع « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه خلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر فى شبه الناس »[٥]

والذى يلاحظ من قول بولس هذا أن أقنوم الإبن كان قبل التأنس

---

(١) كورنثوس ٨ : ٦ .
(٢) تيموثاوس الأولى ١ : ١٥ .
(٣) السابق ٣ : ١٦ .
(٤) رومية ٩ : ٥ .
(٥) فيلبى ٦ : ٧ .

إلها مجرداً ، وذاتاً غير مشخصة ، إذ هو صورة الله ، ثم تشخص بالجسد ليفدى بجسده أصحاب الجسد من بنى آدم على غرار ما فى الديانات السرية ، أو الخفية التى ملىء بها عصره .

(و) وقد بين شارل جنيبير فى كتابه أن نعت عيسى بـ « ابن الله » لم يكن ليوافق عليه الحواريون مكتفين بتعبير « خادم الله » ، ولكن بولس فرضه عليهم فرضاً ، وألزمهم به . فيقول :

ولم يكن الإثنا عشر ليوافقوا على نعت عيسى بـ « ابن الله » مكتفين بتعبير « خادم الله » ، أما عند بولس فلقب « ابن الله » لقب كثير الإستعمال بالنسبة إلى عيسى .

وبولس لم يختلق هذه المفاهيم وإن قام بتطويرها ، ولابد لنا من القول بأنه أخذها من مصادر أخرى غير المجتمع المسيحى الذى أسسه أصحاب عيسى أنفسهم [١] .

ولقد كانت هذه الأعمال الجديدة فى المسيحية مثار ضيق وألم فى نفس برنابا الحوارى ، لأنها قضت على المسيحية الحقيقية التى جاء بها المسيح — عليه السلام — من عند الله سبحانه ، وسطر هذه الأعمال فى أول إنجيله فقال :

« أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هـــذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ... الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ... » [٢] .

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٩١ ، ٩٢

(٢) مقدمة إنجيل برنابا ص ٣

القرآن وعقيدة التثليث

تمهيـــد :

إذا كانت نسبة البنوة إلى الله سابقة فى الفكر الإنسانى ، فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث ؟

لم ترد كلمات : الآب ، الإبن ، الروح القدس ، فى الإنجيل إلا فى عبارات وتراكيب مختلفة ، ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينهما فى سياق واحد ، وذلك باستثناء كلمة المسيح التى وردت عنه فى إنجيل متى حيث قال لتلاميذه « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمـــدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس »[1] .

كذلك من يطالع جميع أعمال الرسل ورسائلهم التى ألحقت بالأناجيل وصارت جزءا متمما لها يجد أنها لم تحدث عن شيء مما أصبح عقيدة مقررة عند المسيحيين بعد مؤتمر « نيقية » الذى قرر أن المسيح هو أقنوم الإبن فى الله ذى الثلاثة أقانيم :

مصدر هذه العقيدة

بين القرآن الكريم أن القائلين بعقيدة التثليث كافرون فى قوله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم »[2]

أكد الله — تعالى — بالقسم كفر الذين قالوا إن الله الذى هو خالق

---

(١) متى ٢٨ : ١٩ (٢) المائدة : ٧٣

السماوات والأرض ومابينهما ثالث أقانيم ثلاثة وهي الآب والإبن والروح القدس . ورد الله سبحانه عليهم بقوله « وما من إله إلا إله واحد » أى قالوا قولهم هذا بلا روية ولا بصيرة والحال أنه ليس فى الوجود ثلاثة آلهة ولا اثنان ولا أكثر من ذلك. لا يوجد إلهما إلا إله متصف بالوحدانية وهو الله الذى لاتركيب فى ذاته ولا تعدد. . . والنصارى قد اقتبسوا عقيدة التثليث عمن قبلهم ولم يفهموها . « وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » ، أى وإن لم ينتهوا عن قولهم بالتثليث ويتركوه ، ويعتصموا بعروة التوحيد الوثقى ويعتقدوه فوالله ليصيبنهم بكفرهم عذاب شديد الألم فى الآخرة.[1]

وأقول : كان الكثيرون من الوثنيين القدماء يقولون بالأقانيم الثلاثة والإله الواحد ، فسرت هـــذه العقيدة إلى النصرانية وقررها الرؤساء الدينيون فى مجامعهم الأولى بالتدريج حتى صارت عقيدة الكنائس المسيحية.

قال « برتشرد » فى كتابه « خرافات المصريين الوثنيين » : لاتخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى — أى الآب والإبن والروح القدس — .

وقال « موريس » فى كتابه « الآثار المصرية القـــديمة » : كان عند أكثر الأمم الوثنية البائدة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثى — أى أن الإله ذو ثلاثة أقانيم —

وجاء فى كتاب سكان أوربا الأوائل : كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم .[2]

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٤٠١ ، ٤٠٢

(٢) تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٣ ورسالة موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح ص ٧٣ ، ٧٤

وسأذكر نبذة عن التثليث عند بعض هذه الأمم موضحاً مدى التقارب بينه وبين التثليث عند المسيحيين .

التثليث عند البراهمة

تقوم الديانة البرهمية على التثليث ، ويطلقون عليه بلغتهم السنسكريتية « ترى مورتى » وهي عبارة مركبة من كلمتين « ترى » ومعناها ثلاثة ، و « مورتى » ومعناها هيئات ، أو أقانيم ، وهي « برهمة » و « فشنو » و « سيفا » ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة ، فهي إله واحد — بزعمهم — .

فالأول « الآب » وهو الممثل لمبادىء التكوين والخلق . ولا يزال خلاقاً إلهياً .

والثانى : الإبن » وهو الممثل لمبادىء الحماية والحفظ . والمنقلب عن الحال اللاهوتية ، والظاهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس .

والثالث « روح القدس » وهو المبدىء المهلك ، والمبيد والمعيد .

ويرمزون للأقانيم الثلاثة بلفظ « أوم » أى الألف والواو والميم ، ويقدسون هذا الرمز فى معابدهم ، ويجلونه إجلالا عظيما .

ويسمى الأقنوم الثانى « فشنو » كرشنا . ويقولون إنه ولد من العذراء العفيفة الطاهرة « ديفاكى » والدة الإله .(١)

ومن يقابل هذه العقيدة بالعقيدة المسيحية يجد أن النصارى اقتبسوا دياناتهم ولاهوتهم من الهنود القدماء بدون تعقل أو تمييز .

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٧٣ ، المسيح والتثليث ص ١٥٥ ، موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث ص ٧٤ ، ٧٥

التثليث عند البوذيين

يعتقـــد البوذيون أن بوذا إله مثلث الأقانيم ، وكذلك بوذيوا « جينست » يعتقدون أن « حيفا » إله مثلث الأقانيم .

ويعتقد بوذيوا الصين واليابان أن بوذا إله مثلث الأقانيم ويسمونه « فو » ، ويقولون : إنه واحد ولكنه ذو ثلاثة أشكال ، ويصورونه صنما ذا ثلاثة رؤوس كما يصوره براهمة الهند ، ويرمزون له بلفظ « أوم » أى الألف والواو والميم . كما يفعل الهنود .

ويقول البوذيون عن بوذا : إنه نزل إلى الأرض وظهر بالناسوت ، وولد من العذراء « مايا » بغير مضاجعة رجل لينقذ الناس من خطاياهم ، ويفديهم ويرشدهم إلى الخير ، ويشق لهم طريق السلام[1] .

وقد عقدت فى أول الفصل السابق مقارنة بين بوذا ، وبين المسيح — عليه السلام — وبينت مدى التطابق بينهما .

التثليث عند قدماء المصريين

كان القول بتركيب الإله من ثلاثة أقانيم محور الديانة المصرية القديمة ، وكان قسيسوا هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث للمبتدئين بتعاليم الدين بقولهم : إن الأول خلق الثانى ، والثانى مع الأول خلقا الثالث ، وبذلك تم الثالوث المقدس .

سأل « توليو » ملك مصر الكاهن « ريتشوكى » أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه ، أو هل يكون بعده من هو أعظم ؟

---

(١) المراجع السابقة

فقال له الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم وهو أولا الله ، ثم الكلمة، ومعهما روح القدس ، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة ، وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية ، فاذهب « يا فانى » يا صاحب الحياة القصيرة .

قال دوان بعد ذكر ما تقدم : لا ريب أن تسمية الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس — كلمة — هو من أصل وثنى مصرى دخل فى غيره من الديانات كالديانة المسيحية[٢] .

وقال « بو نويك » فى ص٤٠٢ من كتابه « اعتقاد قدماء المصريين »: وأغرب عقيدة عم انتشارها فى ديانة المصريين الوثنيين القدماء هى قولهم بلاهوت الكلمة ، وأن كل شيء صار بواسطتها ، وأنها — أى الكلمة — منبثقة عن الله وأنها الله .

وكان « بلاتو » عارفا بهذه العقيدة الوثنية ، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحى بسنين . ولم نكن نعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ، ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا فى هذه الأيام[٢] .

وفى علم اللاهوت الإسكندرى الذى كان يعلمه بلاتو قبل المسيح بسنين عديدة « الكلمة هى الإله الثانى ، ويدعى أيضاً ابن الله البكر»[٣] .

---

(١) موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث ص ٧٧ ، ٧٨ نقلا عن كتاب خرافات التوراة والإنجيل لـ « دوان »

(٢) المرجع السابق ص ٧٨

(٣) المرجع السابق ٧٩

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى توضح أن النصارى أخذوا عقيدة التثليث عن الأمم السابقة عليهم .

ومما يجدر بنا معرفته هو :

كيف تكونت هذه العقيدة عند النصارى :

لما كانت هذه العقيدة منابذة للعقل ومخالفة للكتاب المقدس احتاج تكونها إلى أزمنة طويلة كانت تعقد فى أثنائها إجتماعات البطارقة والأساقفة لتقريرها شيئاً فشيئاً .

وإن المتتبع لها فى أدوار تكونها يتضح له جليا أن المرجع فى تقريرها دون غيرها من العقائد التى كانت موجودة وقتئذ إنما هو إلى سيطرة رجال الدين والملوك الرومانيين الذين راقت فى نظرهم هذه العقيدة ، وصادفت هوى فى نفوسهم .

ولبيان ذلك أقول : أشتد الخلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتشعبت أقوالهم فى المسيح — عليه السلام — وكان من بين هذه الأقوال ما يسمونه بدعة آريوس التى يقول فيها : إن الآب كان إذ لم يكن الإبن، ثم أحدث الإبن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق . ثم فوض الآب إلى الإبن الذى يسمى كلمة الأمر فكان هو خالق السماوات والأرض كما قال فى إنجيله المقدس « قد أعطيت كل سلطان على السماوات والأرض، فكان هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك ، ثم إن تلك الكلمة تجسدت فيما بعد من مريم العذراء ، ومن روح القدس ، فصار ذلك مسيحاً واحداً .

قوبلت هذه الفكرة بالرفض وحورب صاحبها .

ولما رفع الأمر إلى الملك قسطنطين أمر بعقد مجمع عام فى نيقية سنة

٣٢٥م ، وفى هذا الاجتماع اختلفت الآراء حول المسيح — عليه السلام — ومن بين الآراء الكثيرة الرأى القائل بتأله المسيح ، وهو رأى بولس وثلاثمأة وثمانية عشر أسقفا من بين المجتمعين .

وقد اختار «قسطنطين» هذا الرأى ودافع عنه ، وسبب ذلك أن عبادة رجل بشرى أقرب إلى وثنية الرومان من عبادة الإله الواحد الذى لا يرى ولا تحده الجهات ، ولا تحيط به الأفكار .

ولما رأى أصحاب هذا الرأى موافقة الملك عليه قالوا له : أظهر دين النصرانية ، وذب عنه ، وأهم ما قرروه أن الإبن مولود من الآب قبل كل الدهور ، وأن الابن من طبيعة الآب غير مخلوق(١) .

فالإيمان الذى صدق عليه قرار المجمع النيقاوى هو إيمان بالآب والابن فقط .

أما الروح القدس فلم يتبوأ مكانه المعروف الآن لدى الكنيسة المسيحية إلا فى سنة ٣٨١م حيث أمر الملك « تاودوسيوس » الكبير بعقد مجمع مقدس فى مدينة القسطنطينية للنظر فى مقولة « مكدونيوس » بطريرك القسطنطينية التى كان ينادى بها فى محيط كنيسته ، ويذيعها فى أتباعه وملخصها « أن الروح القدس ليس بإله وإنما هو مخلوق مصنوع كسائر المخلوقات » .

وقد اجتمع فى هذا المؤتمر ١٥٠ أسقفاً يمثلون جميع الهيئآت المسيحية،

---

(١) باختصار شديد ولزيادة التعرف على هذا الموضوع يرجع إلى كتاب المدخل إلى الكتاب المقدس ، وكتاب محاضرات فى النصرانية ، وكتاب الأسفار المقدسة

وكان من بينهم « تيموثاوس » بطريرك الإسكندرية الذى أسندت إليه رئاسته .

وانتهى المؤتمر بإدانة مكدونيوس ومن كان على رأيه من الأساقفة، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع نيقية مع إضافة نص جديد فى شأن الروح القدس .

يقول ابن البطريق : زادوا فى الأمانة التى وضعها الثلاثمأة وثمانية عشر المجتمعين فى نيقية : الإيمان بروح القدس ، الرب المحى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والإبن مسجود له وممجد ، وثبتوا أن الآب والإبن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص توحيد فى تثليث ، وتثليث فى توحيد . كيان واحد فى ثلاثة أقانيم ، إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة[1] .

وبهذا المجمع القسطنطينى المنعقد فى أواخر القرن الرابع الميلادى اكتملت فكرة التثليث كعقيدة للمسيحية بعد جدال عنيف بين الطوائف .

ويلاحظ أن هذه الفكرة التى قررتها المجامع بالترتيب وعلى التوالى لم تقرر بأغلبية عامة مطلقة كما هو الشأن فى المجامع والمؤتمرات العامة ، ولكنها اتخذت بالأغلبية المغلوبة على أمرها ، وما ذلك إلا لأنها لم تستند إلى نصوص صريحة من الكتاب المقدس ، ولكنها صادفت هوى فى نفس الحكام الموجودين فى ذلك الوقت ، فأقروها ووافقهم عليها الكثيرون من رجال الدين . أما القليل منهم الذى لم يوافق فإنه لقى من ألوان الإهانة والطرد والتشريد ما به خمدت جزوته ، ومات فى مهده رأيه .

---

(١) تاريخ ابن البطريق ص ١٤٥

شهادة المحققين

من علمائهم بأن هذه العقيدة لا وجود لها فى الإنجيل

جاء فى دائرة معارف لا روس ما نصه « إن عقيدة الثالوث وإن لم تكن موجودة فى كتب العهد الجديد والإنجيل، ولا فى أعمال الآباء الرسوليين ولا تلاميذهم الأقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتى الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين فى كل زمن رغما عن أدلة التاريخ التى ترينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك.

نعم إن العادة فى التعميد كانت أن يذكر عليه اسم الآب والإبن والروح القدس، ولكنا سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلولات غير ما يفهمه الآن نصارى اليوم، وان تلاميذ المسيح الأول الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، وما كان بطرس حواريه يعتبره إلا رجلا موحى إليه من عند الله.

أما بولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى وقال: إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد، أى عقل تام متولد من الله، وكان موجوداً قبل أن يوجد هذا العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك تابع لله الآب... إلى أن قالت دائرة المعارف: وكان الشأن فى تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان الناصرة التى تسمى بها النصارى، والإيبيونيتيين، وجميع الفرق النصرانية التى تكونت من اليهودية اعتقدت أن عيسى إنسان محض مؤيد من الروح القدس، وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون.

قال «جوستن مارشير» وهو مؤرخ لاتينى فى القرن الثانى : إنه كان فى زمنه فى الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ، ويعتبرونه إنسانا محضا وإن كان أرقى من غيره من الناس ، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل أ. هـ[1].

وكان جمهور كبير من اللاهوتيين وكثير من الطوائف الجديدة كالسوسينيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم ينكرونها ، ويعدونها مخالفة للعقل ، ومضادة للكتاب المقدس[2].

استدلال النصارى بفقرة من العهد الجديد

على التثليث والرد عليهم

تبين مما سبق أنه ليس للنصارى دليل على التثليث يستطيعون أن يظهروه مطلقا ، وأن هذه العقيدة فرضت عليهم بواسطة المجمع النيقاوى والقسطنطينى الأول ، وليس فى الأناجيل إلا مايدل على التوحيد الحقيقى .

ولكن هناك نص فى رسالة يوحنا الأولى يتخذه النصارى دليلا على التثليث وهو قوله «فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد .

والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم ، والثلاثة هم فى الواحد»[3].

---

(١) دائرة معارف وجدى عند مادة ثلث جـ ٢ ص ٧٥٩

(٢) دائرة معارف البستانى عند مادة ثلث جـ ٦ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦

(٣) رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ : ٨

والرد على ذلك أقول :

(أ) لايوجد انسجام بين أجزاء هذا القول ، بل إن فيه تفكك فى المعنى وتباين فى المرمى ، والعلاقة معدومة بين هؤلاء الشهداء فى السماء ، وهؤلاء الشهداء على الأرض .

(ب) هذه الفقرة التى يزعمون أنها تشير إلى التثليث شهد بتحريفها علماؤهم المشهورون ، وجمهور علماء البروتستنت يقولون : إن هذه الجملة «فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس ...الخ» إلحاقية محرفة .

كما يشهد بذلك «هورن» وهو العالم المسيحى المشهور بتعصبه الدينى .

كما يشهد بتحريفها أيضا جامعوا تفسير (هنرى واسكات) وتفسير (آدم كلارك) .

وكذلك يميل إلى القول بإلحاقيتها (اكستاين) أعظم علمـــاء أهل التثليث فى القرن الرابع الميلادى وكثيرون غيره[1] .

وقد لخص الشيخ رحمة الله الهندى — عن جامعى تفسير (هنرى واسكات) — الأدلة التى يأخذ بها هورن وغيره فى كون هذه العبارة دخيلة على العهد الجديد ، وهذه الأدلة هى :

أولا : أن هذه العبارة لا توجد فى نسخة من النسخ اليونانيــة التى كتبت فى القرن السادس عشر .

ثانيا : أنها لاتوجد فى النسخ المعتبرة قديما والتى طبعت بعناية .

ثالثا : أنها لاتوجد فى أى ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية .

رابعا : أنها لاتوجد فى معظم النسخ القديمة اللاتينية أيضا .

خامسا : أنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ، ومؤرخى الكنيسة .

---

(١) المسيح والتثليث ص ١١٨ ، ١١٩

سادسا : أن أئمة البروتستانت وعلماءهم أسقطوها من كتبهم، ووضع بعضهم عليها علامة الشك[١].

فثبت بذلك أن مايستندون اليه فى دعواهم واه ولا حقيقة له ، وأنه يجب عليهم أن يتركوا هذه العقيدة الزائفة، ويؤمنوا بالله الواحد الأحد وبرسله الذين أرسلهم لهداية البشر كما قال سبحانه «فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السماوات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا»[٢].

منافاة عقيدة التثليث للعقل

إن عقيدة التثليث تحتم أن يكون الإبن إبنا لنفسه، وفى الوقت ذاته أبا لنفسه ، وهذا عين المحال .

كما يلاحظ أن لكل أقنوم وظيفة خاصة به،وصفة تلازمه لايتصف بها غيره ، ولا يكون لأيهم صفة الألوهية منفردا ، بل يكون كل منهم ناقصا حتى ينضم اليه الأقنومان الآخران ، والتركيب فى ذات الله محال لأن المركب يحتاج إلى كل جزء من أجزائه فيكون حادثا .

ومادام الآب هو مكون الكائنات والإبن هو المخلص ، والروح القدس هو معطى الحياة، فيكون الآب عاجزا عن التخليص وعن إعطاء الحياة ويكون المخلص عاجزا عن تكوين الكائنات وإعطائها الحياة ، ويكون الروح القدس عاجزا عن تكوين الكائنات وتخليصها، وتكوين الله — سبحانه — من أقانيم عاجزة هو عين الوهم والمحال «إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا»[٣].

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ١٥٠

(٢) النساء : ١٧١ (٣) النجم : ٢٨

كما أنه لو كان للكون إلهان لأمكن أن واحداً يريد أن يفعل شيئاً والآخر لم يشأ أن يفعل ذلك ، أو كلاهما يتفق فى الإرادة جميعاً ، أو تكمل إرادة أحدهما خصوصاً ولا تكمل إرادة الآخر .

والقول الأول محال ، إذ يكون فى إرادتهما تضاد فينفى الواحد ما أثبت الآخر .

والثانى أيضا محال . لأن إرادة الواحد مقيدة بإرادة الآخر .

والثالث باطل أيضاً ، لأن الذى بطلت إرادته ليس إلهاً ، وأما الآخر فيكون وحده الإله قال تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون »[1] .

عقيدة التثليث

لم يقل بها الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام —

لو فرضنا أن عقيدة التثليث هى مدار النجاة عند النصارى فكيف خفى ذلك على آدم ونوح وإبراهيم — عليهم السلام — بل كيف خفى ذلك على إسحاق وجميع أنبياء بنى إسرائيل ، إن هؤلاء لم يرد عنهم فى فى التوراة إلا ما يدل على التوحيـــد الحقيق وحده ، وقد نزهوا الله تعالى عما لا يليق به من الصفات[2] وحذروا وقاموا ضد الإشراك بالله

---

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٢) إذا وجدنا فى الكتاب المقدس « العهد القديم والعهد الجديد » إثبات الحسية والأعضاء لله تعالى مثل الشكل والصورة كما فى سفر التكوين ٩ : ٦ ، والأحشاء والبطن كما فى أرميا ٤ : ٩ . والفم كما فى إنجيل متى ٤ : ٤ . إلخ ، أو إذا وجدنا مايثبت المكان له سبحانه كما فى سفر =

تعالى ، فمن ذلك ما جاء فى التوراة « إسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك ، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك ، وحين تمشى فى الطريق ، وحين تنام ، وحين تقوم . واربطها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك ، واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك »[١] فقد جعل الله تعالى — التوحيد شعاراً أبدياً ، وعهداً دائماً لا يزول .

= الخروج ٢٥ : ٨ . والعدد ٥ : ٣ . ومتى ٢٣ : ٢١ ، ٢٢ . وجب تأويله كله لمنافاته للعقل والنقل الصريح ، مثل ما هو مذكور فى سفر التثنية « فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار تثنية ٤ : ١٥ . وفى يوحنا « الله لم يره أحد قط » يوحنا ١ : ١٨ . وأنه « لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » تيموثاوس الأولى ٦ : ١٦ .

وماجاء من تنزيه سبحانه عن المكان كما فى سفر أشعياء ٦٦ : ١ .

وفى سفر أعمال الرسل « لكن العلى لا يسكن فى هيا كل مصنوعات الأيادى » أعمال ٧ : ٤٨ .

وهكذا ما دامت فقرات التنزيه هى وحدها المطابقة للعقل وجب تأويل ما هو عكسها .

(١) تثنية ٦ : ٤ — ٩ .

المسيح — عليه السلام — يشهد أن لا إله إلا الله

إن القول بالتثليث لم يخطر ببال عيسى — عليه السلام — مطلقاً ، ومن يقرأ أقوال المسيح فى الأناجيل المعتمدة — عند النصارى — لا يجده إلا مؤمنا بالله داعياً لتوحيد الله وتنزيهه عن الشريك والولد .

من ذلك قول المسيح — عليه السلام — لإبليس « لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد »[1] .

وهو ما يشبه قول المسلمين (لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه) .

ولو كانت هناك ثلاثة أقانيم لقال المسيح لإبليس : للثـلاثة أقانيم آلهتك تسجد وإياهم وحدهم تعبد) ، أو لكان قد أشار إلى هذه الأقانيم بأدنى إشارة .

لقد روى مرقس فى إنجيله أن عيسى — عليه السلام — كان يعلم اليهود « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورن ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى ... فقال له الكاتب . جيداً يا معلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه ... فلما رأى يسوع أجاب بعقل قال له : لست بعيداً عن ملكوت الله »[2] .

---

(١) متى ٤ : ١٠ .
(٢) مرقس ١٢ : ٢٨ — ٣٤ .

فالمسيح هنا فى مقام التعليم والإرشاد فلابد أن يصدق فيهما ، ولما سأله اليهودى عن أول الوصايا أجابه بأنها الإيمان بالتوحيد الحقيق ، وبالرغم من ذلك فإن المسيحيين يدعون أن أول الوصايا هى الإيمان بأن الله ثلاثة أقانيم ممتازة إمتيازا حقيقياً ، وأن كل أقنوم له عمل خاص به . ألا ساء مايحكمون .

فالمسيح — عليه السلام — يقول : الرب إلهنا رب واحد ، ولم يقل (أنا إلهكم رب واحد وثلاثة أقانيم) بل أعترف بأن الله تعالى هو إلهه كذلك :

والمسيح — عليه السلام — قد سر من اليهودى ، وشهد أنه أجاب بعقل حين شهد معه أن الله واحد وليس آخر سواه .

إن أول الوصايا فى كتبهم — بشهادة المسيح نفسه — هى (لا إله إلا الله) التى هى أول أركان الإسلام .

المسيح — عليه السلام — يشهد أنه رسول الله (كسائر الرسل)

يقول المسيح — عليه السلام — «... فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح ، وأنتم جميعاً إخوة ، ولا تدعوا لكم أبا — إلهاً — على الأرض لأن أباكم — إلهكم — واحد الذى فى السماوات ، ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح[1] .

فهو عليه السلام يقول : لا تدعوا لكم أبا ، أى إلهاً ، على الأرض ، أى متجسداً على الأرض ، أو حالا فى جسد أرضى ، لأن أباكم ، أى إلهكم «واحد» لاشريك له ، وهو «الذى فى السموات» العلى العظيم .

(١) متى ٢٣ : ٨

ويكرر عيسى — عليه السلام — شهادته بأنه هو المعلم، أى الرسول الذى أرسله الله ليعلمهم كباقى الرسل الكرام.

قال تعالى «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون»[1].

كذلك شهادة الناس بأن المسيح رسول من عند الله إلى البشر، جاء فى الإنجيل «فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم»[2].

وسأذكر هنا آية عظيمة، وشهادة حقة قالها المسيح — عليه السلام — وحفظها الله تبارك وتعالى — عن التشويه والتحريف وهى قوله: «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته»[3].

فبين عيسى — عليه السلام — أن الحياة الأبدية هى أن يعرف الناس أن الله واحد حقيق، وأن عيسى عبده ورسوله. وما قال إن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم متميزة بامتياز حقيق، وأن عيسى إنسان وإله، أو أن عيسى إنسان مجسم، أو هو الأقنوم الثانى.

بل لقد شهد المسيح — عليه السلام — أن الحياة الأبدية هى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يسوع رسول الله، وهو عين ما يؤمن به المسلمون جميعاً.

---

(١) آل عمران ٧٩، ٨٠ (٢) يوحنا ٦: ١٤
(٣) السابق ١٧: ٣

وحيث إن الحياة الأبدية حسب قول المسيح هى التوحيد الحقيقى لله ، واعتقاد الرسالة للمسيح ، فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالا بيناً ، والتوحيد الحقيقى ضد للتثليث الحقيقى .

قال تعالى «وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلايتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم»(١) .

والله أعلم وأعز وأكرم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

---

(١) المائدة ٧٢—٧٤

أهم المراجع

أولا : المراجع الإسلامية

اسم الكتاب	اسم المؤلف والمطبعة
١ ــ القرآن الكريم	
٢ ــ الإتقان فى علوم القرآن	جلال الدين السيوطى مطبعة الحلبى الطبعة الثالثة سنة ١٩٥١ م .
٣ ــ الأقوال الجلية فى كتب اليهودية والنصرانية	محمد على مطبعة المنار بمصر .
٤ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	تقى الدين بن تيمية مطبعة المدنى .
٥ ــ إظهار الحق	الشيخ رحمة الله الهندى المطبعة العلمية سنة ١٣١٥ هـ .
٦ ــ الديانات القديمة	الشيخ محمد أبو زهرة . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى .
٧ ــ المسيح والتثليث	الدكتور محمد وصفى . المطبعة الرحمانية بمصر
٨ ــ تفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن .	الإمام القرطبى .مطبعة دار الشعب.
٩ ــ تفسير المنار	السيد محمد رشيد رضا.الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ م .

اسم الكتاب	اسم المؤلف والمطبعة
١٠ — دائرة معارف القرن العشرين	الأستاذ محمد فريد وجدى مطبعة دائرة معارف القرن العشرين الطبعة الثانية ١٩٢٣ م
١١ — محاضرات فى النصرانية	الشيخ محمد أبو زهرة مطبعة المدنى الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ م .
١٢ — ينابيع المسيحية	خواجا أفندى كمال الدين تعريب إسماعيل حلمى البارودى مكتبة الإسكندرية .

ثانيا : المراجع المسيحية

١٣ — الكتاب المقـــدس « التوراة والإنجيل »	طبعة البروتستنت بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م .
١٤ — الكتاب المقـــدس « التوراة والإنجيل »	ترجمة الكاثوليك المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٥٨ م .
١٥ — الإنجيل والصليب	الأب عبد الأحد داود الأشورى العراقى طبع فى القاهرة سنة ١٣٥١ هـ
١٦ — التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق	أفتشيوس المكنى بسعيد بن بطريق طبع فى بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٥ م .
١٧ — المسيحية نشأتها وتطورها	شارل جنيبير ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود المكتبة العصرية صيدا بيروت .

اسم الكتاب	اسم المؤلف والمطبعة
١٨ — المدخل إلى الكتاب المقدس	حبيب سعيد. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.
١٩ — رسالة فى اللاهوت والسياسة	سبينوزا. ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفى مراجعة الدكتور فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م.
٢٠ — موسوعة تاريخ الأقباط	زكى شنودة مطابع البلاغ بالقاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ م

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

اصلاح الإسلام للمسيحية الحالية

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٧٣٣ / ١٩٩٠ م

I. S. B. N : 977 - 00 - 0280 - 7